هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٦٩ ○ محرم ١٣٩٩ هـ ○ ديسمبر ١٩٧٨ م

عـدد الهجرة الممتاز

اقرأ في هذا العدد

كلمة الوعي	لرئيس التحرير	٤
معنى يوم التغابن	للدكتور أحمد الحوفي	٦
الهجرة الخالصة	للشيخ أحمد البسيوني	١١
الوجود القائم	للدكتور محمد البهي	١٨
عظمة الهجرة	للأستاذ أحمد عبد المحسن	٣٠
سبحان الذي خلق (٤)	للدكتور عبد المحسن صالح	٤٢
هذا من الحديث النبوي	للتحرير	٥٤
ليس من الحديث النبوي	للتحرير	٥٥
المسلمون الأوائل	للأستاذ إبراهيم الصيحي	٥٦
مائدة القارئ	للتحرير	٦١
الهجرة قمة الانتصار	للشيخ عبد الرحمن النجار	٦٢
لغويات	للتحرير	٦٧
القاهرة ذات الألف مئذنة	للأستاذ عبد الغني محمد عبد الله	٦٨
الدعوة إلى الله	للأستاذ أبو الحسن الندوى	٨٠
قالوا في الأمثال	للتحرير	٩١
التفسير السياسي للهجرة	للدكتور محمد رواس قلعة جي	٩٢
الهجرة ومعركة الأيام	للدكتور محمد لبيب البوهي	١٠١
مرحبا خير مهاجر (قصيدة)	للأستاذ إبراهيم عبد الفتاح	١٠٦
مع الشباب	للتحرير	١٠٨
الفتوة	للأستاذ سليمان التهامي	١١٣
الفتاوى	للشيخ عطيه صقر	١١٨
بأقلام القراء	للتحرير	١٢٢
بريد الوعي الاسلامي	للتحرير	١٢٤
مع الصحافة العالمية	للتحرير	١٢٦

صورة الغلاف

مدينة القاهرة ذات الألف مئذنة كما تبدو من ساحة القلعة حيث يرى من يلقي نظره عليها ، أنها تمتاز بمساجدها الضخمة التي تعتبر آية في الروعة والجمال .. تمثل عصور الاسلام المختلفة ولكنها تلتقي جميعها حول إعلان التوحيد ، والدعوة إلى عبادة الله .

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٦٩ ○ محرم ١٣٩٩ هـ ○ ديسمبر ١٩٧٨ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

على العهد

في مطلع العام الهجري الجديد ، نضع بين يدي القارئ الكريم ، العدد التاسع والستين بعد المائة ، من مجلة (الوعي الاسلامي) في عامها السابع عشر . ونحن على العهد ، نخدم الاسلام عن طريق هذه المجلة الواعية ، ونمد في صوتها الحر ، ليبلغ آفاق الدنيا ، ونتابع المسيرة على طريق الدعوة الى الله ، بعرض مبادئ ديننا الحنيف نستقيها من منبعها الصافي ، خالية من الشوائب ، بعيدة عن الخلافات المذهبية والسياسية .

ولقد رسمت الوزارة للمجلة ، من يومها الأول ، منهاجها الذي تسير عليه ، فهي للعقيدة ، والعلم ، والحياة .

ومن واقع التجربة الحية ، التي عاشتها المجلة ، على امتداد تاريخها في عالم الصحافة المسلمة ، يحس القارئ ، أنها قدمت له زادا كريما ، مختلفا ألوانه ، فيه شفاء للناس من زيغ العقيدة ، واختلال العبادة ، وانحراف السلوك ..

وحين يجول النظر على صفحاتها ، يقع على أنماط عديدة ، من الثقافة والمعرفة ، فهو بين نظرات في آيات القرآن الكريم ، أو مع الهدى المحمدي ، من أحاديث المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، أو مع تأملات في الدين والحياة ، في إطار علم شامل ، يغذي العقيدة ، ويحتضن كل نواحي التطور ، ويفتح صدره لعناصر الكون ، يأخذ منها ويعطيها ، أومع الفتوى الصحيحة ، التي تحل مشاكل الناس ، وتفصل في قضاياهم .

ولا ندعي أننا بلغنا القمة ، أو حققنا الكمال ، فالكمال لله وحده ، ومن هنا فنحن نرحب بكل نقد بناء ، أو توجيه مخلص يهدي إلينا عيوبنا ، فمعرفة الخطأ ، أولى الخطوات على طريق الصواب .

وإننا نوجه عناية خاصة للشباب ، فهم رجال الغد ، وأهل الاسلام ، ورصيد الأمة الغالي ، وعدتها لمستقبلها ، وإننا لنفزع أشد الفزع ، حين نرى موجات الالحاد ، تطغى على قطاعات النشاط في محيط الشباب ، ولا يفتأ الخبثاء من أعداء الاسلام ، يوحون إلى

أبنائنا زخرف القول ، بالحكم على الدين بأنه عقبة في سبيل الحياة ! وأن الانسان المتدين ، رجعي متخلف ، وربما تساهلوا في حكمهم ، فاعتبروا الأديان ميولا فردية ، أو اتجاهات أدبية ، وهم بذلك يعملون جاهدين على عزل الدين عن الحياة .

وهذا ما حدا بنا الى توجيه دعوة للشباب ، نلفت بها نظرهم إلى أننا قد فتحنا لهم في هذه المجلة ، وابتداء من هذا العدد ، صفحة تحت عنوان (مع الشباب) ليسجل فيها الشباب المسلم خواطره وأفكاره ، ونحن معه ، نقوم برحلة في داخل نفسه ، لنرى ما يعتمل فيها ، فان وجدنا خيرا حمدنا الله ، وإن وجدنا غير ذلك ، قدمنا له العلاج من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، حتى ينعم بالحياة الكريمة في ظلال الاسلام .

ورغم أننا نشعر بعبء الرسالة ، وضخامة المسؤولية ، الا أننا نستمد القوة من الله ، على متابعة السير في طريق الدعوة الى الاسلام ، بعزم أكيد .

كما أننا نعتز بقرائنا في العالم الاسلامي والعربي ، ونجد في رسائلهم إلينا ، قوة دافعة للسير بالمجلة نحو الغاية المرجوة .

ومن الحوافز التي تذكر فتشكر توجيهات ، السيد « يوسف جاسم الحجي » وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية ، الذي تلقى منه المجلة كل عون وتشجيع ، نابعين من غيرته على الاسلام ، وحرصه على ان تأخذ مبادئه مكانها في دنيا الناس ، وبذلك تستقيم الحياة ، ويعتدل ميزانها ، وتعيش الانسانية أزهى عصورها ، حين يفتح الله لها في ظلال الايمان والتقوى ، بركات من السماء والأرض .

(ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا) .
والله تعالى يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

رئيس التحرير

أحمد البيومي

مَا مَعْنَىٰ

للدكتور احمد الحوفي

جاءت كلمة التغابن في قول الله عز وجل : **(يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن)** التغابن/٩ ، وبهذه الكلمة سميت السورة ، فما معنى يوم التغابن ؟

لابد لمعرفة المعنى من أن أعرض ما قاله بعض المفسرين ، لأنه يمثل رأيهم جميعا ، ثم أعقب على ما قالوه ، ثم ألجأ الى اللغة نفسها عسى أن أهتدي الى رأي جديد .

(١) أقوال المفسرين

ذكر الطبرى أن اليوم سمى يوم التغابن ، لأن أهل الجنة يغبنون فيه أهل النار ، وعزز رأيه بروايتين عن مجاهد وعن قتادة .

ولكنه لم يوضح سبب هذا الغبن وطريقته .

ولسنا نستطيع أن نتصور أن الناس يغبن بعضهم بعضا وهم في هول القيامة ورهبة الحساب .

ثم إن غبن أهل الجنة لأصحاب النار لا يسمى تغابنا ، لأنه من طرف واحد ، والتغابن إذا فسرناه بما فسره به الطبرى وهو الظلم لابد أن يكون تفاعلا من طرفين .

وذهب الزمخشرى الى أن التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة ، وهو أن يغبن بعضهم بعضا ، لأن

يوم التغابن

السعداء نزلوا منازل الأشقياء ، وقال إن في هذا تهكما بالأشقياء ، لأن نزولهم ليس بغبن ، وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم ، ولكن التغابن في ذلك اليوم هو التغابن في الحقيقة ، لا التغابن في أمور الدنيا وإن جلت وعظمت .

وهذا تقسيم عجيب ، لأنه من غير المعقول ولا المقبول أن يغبن السعداء الأشقياء على وهم لا حقيقة له ، وهو أنهم نزلوا في منازل الأشقياء التى كان الأشقياء يستحقونها لو كانوا سعداء ، وأن الأشقياء نزلوا في منازل السعداء التى كان السعداء يستحقونها لو كانوا أشقياء .

على أن هذا لا يتفق وقوله تعالى في وصف اهل الجنة : **(ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين)** الحجر/٤٧ ، فكيف يغبن أهل السعادة أهل الشقاوة ؟

ولقد عقب النيسابورى على رأى الزمخشرى بقوله : في تسمية القسم الأخير تغابنا نظر ، الا أن يفرض أن نزول الشقى في ذلك المنزل يزيد عذابه ، وزيادة العذاب سبب تضييق المكان عليه .

ثم قال النيسابورى : ويجوز أن يفسر التغابن بأنه أخذ المظلوم حسنات الظالم ، وحمل الظالم خطايا المظلوم ، وإن صح مجئ التغابن

بمعنى الغبن فذلك اوضح في حق كل مقصر صرف شيئا من استعـداده الفطرى في غير ما أعطى لأجله .

وهذا رأى مردود ، لأن أخذ المظلوم حسنات الظالم ، وتحمـل الظالـم خطايا المظلوم يتنافى والعدل الالهى المطلق الذى نطقت به آيات كثيرة ، مثل قوله سبحانه وتعالى : **(إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفهـا)** النسـاء/٤٠ وقولـه تعالى : **(ونضع الموازين القسـط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا)** الأنبياء/٤٧ وقوله تعالى : **(ولا تزر وازرة وزر أخـرى)** الاسراء/١٥ وقوله عز وجل : **(كل نفس بمـا كسبت رهينة)** المدثر/٣٨ .

أما ابن كثير فانه ذكر رواية عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أن يوم القيامة سمى يوم التغابن ، لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار ، وذكر رواية عن مقاتل بن حبان أنه لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء الجنة ، ويذهب الآخرون الى النار .

وقد سبق تفنيـد هذا الـرأى ، وإبطال دعوى الغبن ، لأن أهل الجنة استحقوا الجنة بايمانهم وعملهم ، ولأن اهل النـار استحقـوا النـار بكفرهم ، فلا غبن ولا عدوان .

وثمة رأى آخر قاله أبو حاتم احمد ابن حمدان الرازى وهو أن اليوم سمى يوم التغابن ، لأن المغبون هو الذى انكشفت سرائره في ذلك اليوم ، فيظهر ما اكتسب في الدنيا من عبادة غير الله بعد أن قدر أنه اهتدى وأنه ينجو ، فيكون أمره كما قال الله عز وجل : **(وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلنـاه هبـاء منثـورا)** الفرقان/٢٣ .

فهذا هو المغبون مثل المغبون في الدنيا الذى يشترى سلعة أو يبيعها فيقدر أنه ربح ، فاذا انكشف امره ظهر أنه خسر ، فيقال له مغبون .

ولكن هذا التعليل غير مقبول ، لأن الذى عبد غير الله تعالى يستحـق العقاب ، فلا يسمى مغبونا ، ولأن التغابن تفاعل ، وشتان ما بين الغبن والتغابن .

وفي العصر الحديث قال عبدالكريم الخطيب في تفسـيره : سمـى يوم القيامة بيوم التغابن لأنه اليوم الذى يرى فيه الناس أنهم غبنوا من جهة أنفسهم ، وأن غبنـا أصابهـم في الدنيا ، فلم يأخذوا حقهم كامـلا فيها ، ولم يستوفوا المطلوب منهـم للحياة الأخرى ، فكل إنسان يبدو له يوم القيامة أنه غبن في حياته الدنيا ، سواء أكان في المحسنـين أم في المسيئين ، اما المحسن فلأنه لم يزدد إحسانا ليزداد ثوابا ، وأما المسئ فلأنه يرى أنه ظلم نفسه ظلما مبينا ، إذ اطلق العنان لشهواته وأهوائه .

والرد على هذا أن اليوم بهذا المعنى يوم حزن وندم وحسرة وتأنيب شديد للنفس ، وليس يوم غبن أو تغابن .

كذلك شرح مجمع اللغة العربية التغابن بأنه تفاعل ، لنزول السعداء فيه منازل الأشقياء ونزول الأشقياء فيه منازل السعداء ، إذ تبدو الأشياء

لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا .

وهذا الرأى لا يختلف ورأى الزمخشرى وابن كثير ، وقد سبق تفنيده .

وأزيد على ما سبق أن اليوم جدير به أن يسمى في هذه الحالة يوم الانصاف أو يوم التبادل وما شاكل هذا ، وليس من الحتم أن يصير سعداء الدنيا الى شقاء في الآخرة ، ولا أن يصير أشقياء الدنيا إلى سعادة وليس من الصواب أن نعلل لتسمية اليوم بتقديرهم وظنهم وهم في الحياة الدنيا .

(٢) رأى جديد

لنرجع الى اللغة عسى أن نهتدى الى المعنى المراد من كلمة تغابن في الآية الكريمة .

جاء في لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس مادة غبن : غبن الرجل الرجل في البيع يغبنه من باب ضرب أى خدعه وظلمه ، والتغابن أن يغبن القوم بعضهم بعضا .

وغبن الرجل رأيه ، وغبن الرجل في رأيه غبنا مثل فرح يفرح فرحا ، وفهم يفهم فهما ، أى نسيه وأغفله وجهله وضيعه وغلط فيه .

وغبن فلان فلانا يغبنه غبنا من باب ضرب أى مر به وهو ماثل فلم يره ، ولم يفطن له .

وفي هذا مثل ما في سابقه من غفلة ونسيان واشتغال . ولقد أخذ المفسرون معنى التغابن من الغبن بمعنى الظلم ، وعجيب ان ابن منظور ذهب مذهبهم ، ولم يتنبه الى المعنيين الآخرين للغبن .

ثم تكلفوا للغبن تفاعلا بين اثنين كل منهما يغبن الآخر ، أو تفاعلا بين الانسان ونفسه ، فهو في نظرهم مثل التنازع والتشارك والتقاتل والتنادى .

لكننى أرجح ان التغابن :

(١) إما ان يكون تفاعلا بين اثنين ، من الغبن على وزن الضرب ، وقد نصت المعجمات على أن معناه النسيان والاغفال والذهول ، حيث إن الذهول الشديد والاغفال الصارف والاشتغال الطاغى يعم الناس جميعا ، فينحصر كل منهم في نفسه ، ويذهل عن غيره ، وينصرف عن احب احبائه ، فهو اذن ذاهل ومذهول عنه ، ومن هنا يتحقق التفاعل وتبادل الذهول .

وليس من المستطاع ان نتصور ذهولا أشد مما صوره القرآن الكريم في قوله تعالى : **(يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)** الحج / ١و٢

وفي قوله عز وجل : **(يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه.لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)** عبس / ٣٤ ـ ٣٧ .

(٢) وإما ان يكون التغابن من

الغبن على وزن ضرب او على وزن سبب بمعنى النسيان والجهل والغفلة والانصراف ، لأن الناس يوم القيامة يصابون بأهوال تفزعهم وتذهلهـم وتنسيهم وتشغلهم ، فيصير كل منهم في ذهول شديد ونسيان تام ، ولكن الصيغـة جاءت على وزن تفاعـل للمبالغة ، لا للدلالة على مشاركة ، ولها نظائر كثيرة في اللغة منها : تبارك الله اى تقدس ، وتعالى الله أى علا ، ونقادم العهد أى قدم ، وتطاول الزمن أي طال ، وتفاقم الأمر أي اشتد ، وتناثر الحب اي انتثر ، وتحامـى الرجـل كذا أي احتمـى منـــه ، وتصاغرت نفس فلان أي صغرت ، وتضاءل الشئ أي صغر ، وتعاطى الدواء أي شربه ، وتماثل للشفاء أي قاربه ، وتكاثر الناس أي كثروا ، وتوافدوا أي وفدوا .

وليس في صيغة من هذه الصيغ تفاعل او مفاعلة بين اثنين او طرفين .

وسواء ذهبنا الى أن التغابن تفاعل من الغبن بمعنى الذهول ، أو الى أنه مبالغة من الغبن بهذا المعنى ، فان هذا او ذاك اولى بالقبول من القول بأنه بمعنى الظلم والخداع ، وأسلم مما يجره هذا الـرأى من تكلـف وافتراض ، وأقرب الى المعنى اللغوى لكلمة غبن ، وهو الى هذا كله أشد مناسبة لأهوال يوم القيامة التـى وصفها القرآن الكريم .

الوعي الاسلامي :

ما نطقت به الآيات التى استدل بها الكاتب على العدل المطلق الذى يتصف به الله تبارك وتعالى مثل آية : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) وآية : (ونضع الموازين القسـط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) وآيـــة : (ولا تزر وازرة وزر اخرى) تدل على أن الله تعالى لا يظلم أحدا بأن يترك حسنات فعلها من غير أن يثيبه عليها ، أو يحمله وزرا لم يقترفه . اما اخذ المظلوم حسنات الظالم وتحمـل الظالـم خطايا المظلوم ، فهذا لا يتنافى مع العدل الالهى كما ذكر الكاتب ، بل هو عين العدل الالهى وذلك حين يعجز المظلوم عن أخذ حقـه من الظالم في الدنيا ، فان الله بعدله يأخذ له حقه يوم القيامة حسنات ، أو يحمل الظالم من خطايا المظلوم حين لا يكون هناك درهم ولا دينار فقد روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتـدرون من المفلس من أمتى يوم القيامة ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع : فقال : « إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى قد شتـم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفـــك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليـه ، أخـــذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار ».

الهجرة الخالصة

روى الامام البخاري قال : (حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا الأعمش ، قال : سمعت أبا وائل يقول : عدنا خبابا ، فقال : هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نريد وجه الله ، فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مضى لم ياخذ من أجره شيئا ، منهم مصعب ابن عمير ، قتل يوم أحد ، وترك نمرة ، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه ، فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئا من إذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها .)

لم يشأ القدر أن ندرك عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، أو نعيش مع صحابته الكرام أيامهم الحافلة بالخير المضيئة بالمثل العليا .
فقد جاء دورنا في سلسلة الوجود الانساني بعد العصر النبوي بقرون متطاولة ولم يكن امر ذلك في ايدينا !! فكم كنا نود ان يواتينا الحظ فنعيش في الجوار الطيب ، ويضمنا المجلس الخاشع ، وتختلط انفسنا بأريجه العبق !!
كم كنا نود ان نفتح عيوننا حين نفتحها على اكرم ذات سعد بها الوجود فتمتلىء منها العين هيبة وروعة وجلالا !!
وكم كنا نود ان نوجه أسماعنا الى الكلمات القدسية ، فينساب اليها الوحي الأعلى غضا طريا كما انزله الله ، ولكن ... ما كل ما يتمنى المرء يدركه !!
لئن حجبنا عن شهود ذلك بحواسنا واشباحنا ، فلم نحجب عنه بأرواحنا ووجداننا ، فلم يزل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يعيش في ضمير كل مؤمن ، بما ترك من هدى ، وبما بث من سنة ، وبما ارسل من قول وعمل .
ان العين حين تقع على اثر من آثار هذا الرسول العظيم ، او تظفر بشيء من سنته حديثا او تقريرا او سيرة ، لترى عليه من انوار النبوة ما يضيء جوانب النفس والعقل ، وما يفتح امام البصيرة نافذة تطل منها على أزهى عصور الانسانية ، وأنضر فترات حياتها ... هناك حيث كان يعيش النبي صلوات الله وسلامه عليه مثلا اعلى للفضائل الانسانية ، ونمونجا فريدا للذوق الرفيع ، والجمال الباهر ، كان اذا تكلم كأنما النور يخرج من بين ثناياه ، يقول عنه علي كرم الله وجهه: « من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه » كان انسانا بكل ما تحمل الكلمة من معان ، رأته امرأة فأخذها الخوف من مهابته فقال لها : « يا مسكينة ... عليك السكينة » ! كان يؤثر القادم عليه بالوسادة التي يجلس عليها ، ويفسح له في المجلس ، وينزل الناس منازلهم ، وصفه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه ، لايجابه أحدا بما يكره ، ولا ينادي اصحابه الا بأحب الاسماء اليهم ، وكان اذا بلغه ما يكره عن احد لم يقل : ما بال فلان ، بل يقول ما بال أقوام » ووصفه ابن ابي هالة فقال : « كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ، ولا مداح » وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ، ويلاعب صبيانهم ، ويجلسهم في حجره ، ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ومعه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان يعيش اصحابه ملائكة من البشر ، يمشون على الارض هونا ، لا باعث لهم الا الخير ، ولا رائد الا التقوى ، ولا شعار الا السلام ، ولا غاية الا الله .
واننا من خلال هذه الاحاديث نستطيع ان نستشف خلال القوم ، وان نرصد اخلاقهم كما ترصد الاجهزة الارضية النجوم في مسالكها .

يقول الصحابي الجليل أبو وائل ، وقد ذهب مع بعض الصحابة لعيادة خباب بن الأرت في مرض نزل به : (عدنا خبابا) وهم حين فعلوا ذلك ، انما قاموا بحق اكيد من حقوق المسلم على اخيه المسلم ، فقد علمهم الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك حين قال لهم : « حق المسلم على المسلم ست : اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، واذا مرض فعده ، واذا مات فاتبعه » رواه البخاري ومسلم .

وقد كان صلى الله عليه وسلم ، يعود المرضى من اصحابه ومن غير اصحابه ، فقد عاد غلاما كان يخدمه من اهل الكتاب ، وعاد عمه ابا طالب وهو مشرك ، واكد هذا الحق الانساني ، ووعد فاعله الثواب الجزيل في ظلال الجنة ونعيمها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « عائد المريض يمشي في مخرفة الجنة حتى يرجع » رواه مسلم . (والمخرفة : سكة بين صفين من النخيل ، جمعها مخارف : يقال : خرجوا الى المخارف اي البساتين) .

ولما استقر المجلس بهؤلاء العواد عند خباب ، شرع يحدثهم عن ذكريات إسلامية مرت به ، ويعرض عليهم صورا من امجاد الاسلام التي نفح بها الحياة ، وامد بها الانسانية لتكون غذاءها النافع ، وشعاعها الهادي ، الذي يضيء لها طريقها الطويل ، فكان فيما قال خباب : هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الى المدينة ، والمراد بالمعية هنا الاشتراك في حكم الهجرة واجرها ، لا في وقتها وزمانها ، وإلا فان خبابا لم يرافق النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته ، فلم يكن معه حين هاجر سوى ابي بكر وعامر ابن فهيرة ، وايا ما كان الامر ، فمن هاجر مع الرسول الكريم ، او سبقه ، او لحق به ، فقد كان الباعث لهم جميعا على الهجرة ابتغاء وجه الله ، لم يهاجروا خوفا على انفسهم او فرارا من الاذى الذي لحق بهم بمكة ، فقد خاضوا بعد الهجرة حروبا طاحنة ، وصب عليهم من البلاء ما تنوء به الجبال . ولم يهاجروا لدنيا يصيبونها ، او مغانم يتطلعون اليها ، فقد اخرجوا من ديارهم بغير حق ، وجردوا من اموالهم بغير رحمة وعاشوا في المدينة غرباء ، اما ضيوفا على الانصار ، او نزلاء في صفة المسجد (**تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا**) . ٢٧٣/ البقرة .

وما اروع ما يقول خباب : (هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نريد وجه الله) يا لها من غاية تتضاءل دونها كل غاية ، ويعجز عن اللحاق بها كل قصد !! « نريد وجه الله » فهو ـ سبحانه ـ مثلهم الأعلى ، وهدفهم الأسمى ، ومطمح أنظارهم ، ومعقد رجائهم . وبهذا القصد النبيل تتميز هجرة النبي واصحابه ، فلم تكن هجرتهم لغرض او عرض ، فقد علمهم الاسلام ان المؤمن اذا قدم عملا لله ، حرص على ان يكون عمله في الذروة من الاخلاص ، والبعد عن مخالفة الشهوات والرغبات . لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة ، وهو يريد وجه الله وحده ، وهاجر حريصا

على ان يبذل من ذات نفسه ، وخالص ماله ابتغاء وجه الله .
فقد روى ان ابا بكر قد جهز عند الهجرة راحتلين ، قدم احداهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي افضلهما ، فقال له الرسول الكريم : (اني لا اركب بعيرا ليس لي) فقال ابو بكر : هو لك يا رسول الله . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (بالثمن) فقال أبو بكر : بالثمن يا رسول الله ، عندئذ قبلها رسول الله ثم ركبها ..
وقد سئل بعض اهل العلم ، لم لم يقبلها الرسول الا بالثمن ، وقد انفق عليه ابو بكر من ماله ما هو اكثر من هذا فقبل ، حتى قال الرسول الكريم : (ليس من احد امن على في اهل ومال من ابي بكر) فقال المسئول : انما فعل الرسول ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله ، رغبة في استكمال فضل الهجرة وان تكون الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما ، واكمل صورهما ، وعلى شعاع من هذه النية الطيبة والقصد الحسن ، مضت الهجرة الى غايتها ناجحة ظافرة ، فكانت فتحا جديدا في تاريخ الانسانية ، وتحولا خطيرا في مسيرة الجماعة البشرية .
يقول الكاتب الاسلامي الرافعي رحمه الله : (حتى اذا كانت الهجرة من بعد ، فانتقل الرسول الى المدينة ، بدأت الدنيا تتقلقل ، كأنما مر بقدمه على مركزها فحركها ، وكانت خطواته في هجرته تخط في الارض ، ومعانيها تخط في التاريخ ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة ، ومعناها بين المشرق والمغرب) .
وما دامت هجرتهم لله ، فقد وقع أجرهم على الله ، اوجب ذلك على نفسه بوعده الصادق تفضلا منه ، لا وجوبا عليه ، فلا يجب عليه ـ سبحانه ـ شيء ... ثم يمضي خباب في حديثه فيقول : فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئا ، كناية عن الغنائم التي تناولها من ادرك زمن الفتوح ، والاجر ليس مقصورا على اجر الآخرة ، بل يتناول ايضا ما يناله المرء من متاع الدنيا وحظوظها الطيبة ، وان كان اطلاق الاجر على المال في الدنيا بطريق المجاز بالنسبة لثواب الآخرة ، فمن الصحابة من ظفر بالآجرين ، فضمن باخلاصه مكانته عند الله في الدار الآخرة ، وأينعت له ثمرته في الدنيا ، أي أدركت ونضجت واستحقت القطف فهو يهدبها (يهدبها بفتح اوله وسكون ثانية وكسر المهملة ويجوز ضمها بعدها هاء اي يقطفها ويجنيها) . اي يجمعها ويقطعها بما فتح الله على المجاهدين من أقطار الأرض . فتهاوت تحت ضرباتهم العروش ، وقد خرت تحت اقدامهم التيجان ، ووضعت في ايديهم مفاتيح خزائن الارض ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل عظيم ، وكان ممن مضوا ولم يأخذوا من اجر الدنيا شيئا ، مصعب بن عمير ، وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصى ، وكان يكني ابا عبدالله ، من السابقين الى الاسلام والهجرة ، كان في

الذروة من قومه جاها ومالا ، كانت أمه « خناس بنت مالك » مليئة كثيرة المال ، ترعى اولادها احسن رعاية ، وتكسوهم احسن الثياب ، وارقها ، فنشأ مصعب بين شباب مكة ، أجملهم وأعطرهم ، يفيض تيها ودلالا ، كان يحيا حياة ناعمة مترفة ، ولا يرى الا ضاحكا مقبلا على الدنيا يأخذ من متاعها بأوفى نصيب .. ثم تمضي الايام ، ويدخل الفتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم ، فيسمع كلامه ، ويعرف حقيقة دعوته ، فيدخل الايمان قلبه . ثم يدعو الرسول اصحابه الى الهجرة الى الحبشة فيهاجر اليها مصعب فيمن هاجر ، مفارقا اهله وعشيرته الى الله ورسوله ... حتى اذا كانت بيعة العقبة الاولى التي التقى فيها اثنا عشر رجلا من اهل يثرب ، بالنبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه على السمع والطاعة ، انفذ معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويفقههم في دين الله فكان اول مبعوث للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأول داعية الى الله ، وقد اسلم على يديه خلق كثير ، فقد كان قوي الحجة ، ذرب اللسان ، جلس مرة في المدينة يدعو الى الاسلام فالتف حوله جمع كبير فبلغ امره سعد بن معاذ واسيد ابن حضير ، وكانا يومئذ سيدي قومهما .

فقال سعد لأسيد : انطلق الى هذا الرجل الذي أتى دارنا ليفتن الناس فازجره حتى ينتهي ، فذهب أسيد يكلم مصعبا .

فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته تركته ؟ فقام من مجلسه مسلما وعاد الى سعد بوجه غير الذي تركه به ، فغاظ ذلك سعدا فقام هو الى مصعب فكان أمره كأمر صاحبه ، وكان من اثر ذلك ان ذهب سعد الى قومه فقال لهم : يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأيا وإيمانا ونقيبة قال: فان كلام نسائكم ورجالكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، فأسلم بنوعبد الاشهل جميعا رجالا ونساء !

واننا لنعجب حين نعلم ان مصعبا هذا الذي نشأ في الترف ، وشب في الدعة والدلال ، صار بعد الهجرة في قلة ، وعاش وهو صاحب الثروة العريضة في شظف من العيش وخشونة من الحياة .

روى الترمذي عن علي كرم الله وجهه قال : بينما نحن في المسجد اذ دخل علينا مصعب بن عمير وما عليه الا بردة مرقوعة بفروة ! فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآه للذي كان فيه من النعم ، والذي هو فيه اليوم ! وعاش مصعب بن عمير تلك السنين العجاف التي مرت بالمسلمين راضيا بما يلقي في ذات الله ، حتى اشتعلت نار الحرب بين قريش والمسلمين في بدر فكان مصعب من أبطالها المجاهدين .

ولما كانت غزوة أحد ، كان مصعب حامل لواء رسول الله يومئذ ، فثبت به ثبوت الرواسي حتى اقبل عليه عبدالله بن قمئة فضرب يده اليمنى فقطعها

ومصعب يقول : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) آل عمران / ١٤٤ وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه ابن قمئة فقطع يده اليسرى ، فحنا على اللواء وضمه بعضديه على صدره وهو يقول : **(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل)** ثم حمل عليه بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء ، ثم وقف الرسول الكريم على الشهداء وهو يقرأ قول الله تعالى : **(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)** الاحزاب/٢٣ . ثم حمل اليه مصعب بن عمير ، فنظر اليه الرسول الكريم وقد تذكر أيامه الماضيات في مكة فقال : (لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق حلة ، ولا أحسن لمة منك ثم أنت مشعث الرأس في بردة !!! ثم أمر به أن يقبر ــ واللمة بكسر اللام المشددة ، الشعر يلم بالمنكب أي يقرب منه ويتدلى .

ولم يترك مصعب من دنيا الناس إلا نمرة (النمرة ــ بفتح النون وكسر الميم ــ إزار من صوف مخطط أو بردة) ــ كفن بها فكان الصحابة اذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه ، واذا غطوا رجليه بدا رأسه ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يغطوا رأسه وان يجعلوا على رجليه شيئا من اذخر (الاذخر بكسر الهمزة والخاء ــ نبات طيب الرائحة) وهكذا فارق الدنيا اكبر مجاهد ، واخلص داعية ، واكرم مهاجر .. ثم يكرمه الله فلا ينال من الدنيا حتى الكفن السابغ الذي يلف بدنه ، فيلقي ربه وقد غطى رأسه بنمرة بالية ، ورجليه ببعض حشائش ، وذلك لهوان الدنيا على الله فلو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ، ما طواها عن رجاله ، وما سقى الكافر منها جرعة ماء !

ومن أحكام هذا الحديث أن الشهيد الذي قتل بأيدي الكفار وهو يقاتل دفاعا عن الاسلام لا يغسل ــ حتى وان كان جنبا ــ ويكفن في ثيابه الصالحة للكفن ، ولا يصلي عليه ، لأن الصلاة شفاعة والشهداء في غنى عنها لأنهم يشفعون لغيرهم كما ان الشهداء يدفنون في دمائهم فلا يغسل منها شيء ففي الحديث الذي رواه أحمد رضى الله عنه : (لا تغسلوهم ، فان كل جرح او كل دم يفوح مسكا يوم القيامة) .

والكفن لغير المحرم أقله ثوب يستر كل البدن إذ الميت كله عورة ، وان كفن من تركته ولا دين عليه ، استحب في ثلاثة أثواب بيض ، فقد روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى عليه وسلم كفن في ثلاثة اثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة .

اما المرأة فيستحب ان تكفن في خمسة اثواب . واما المحرم فيكفن في ثياب إحرامه فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما رجل واقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة ، إذ وقع عن راحلته فوقصته (أي دقت عنقه فمات سريعا) فقال صلى الله عليه وسلم : (اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فانه يبعث يوم القيامة ملبيا) .

هذا وينبغي ان يكون الكفن حسنا دون مغالاة في ثمنه ، وقد ينساق بعض الجهلة وراء التظاهر حتى في مجال الموت ، فيكفنون موتاهم في أفخر الثياب وأغلاها ، يتباهون بعرضها أمام الناس لحظات ، ثم يغيبونها في باطن الأرض ، فتصير نهبا للتراب والصديد .

إن من السفه أن يتكلف المرء في ذلك ما مصيره الفناء والهلاك . يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود : : (لا تغالوا في الكفن فانه يسلب سلبا سريعا) .

ورحم الله أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقد أوصى عند موته أن يكفن في ثيابه فقال : « اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيها » فقالت له عائشة : إن هذا خلق (غير جديد) فقال : (إن الحي أولى بالجديد من الميت إنما هو للمهملة) بضم الميم وكسرها ـ القيح والصديد الذي يذوب فيسيل من الجسد ـ .

اللهم أرنا الحق حقا وأرزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلا وأرزقنا إجتنابه ونسألك حسن الاتباع ونعوذ بك من شر الابتداع .

مرحبا بالضياء

تلقينا العدد الأول من مجلة « الضياء » التي تصدرها الأوقاف والشئون الاسلامية « حكومة دبي » في غرة كل شهر عربي . ومع مطلع هلال الشهر الأول للمجلة صافح القراء في أنحاء العالم الاسلامي والعربي العدد الأول وهو باكورة عمل جاد مخلص وأولى ثمرات عزم أكيد لمتابعة السير على طريق الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والكلمة الهادية التي تعرض وجه الاسلام المشرق في بيان رائع ، وأسلوب يتفهمه ابناء هذا العصر والعدد حافل بالموضوعات القيمة التي فاضت بها أقلام كتاب غيورين على الاسلام ، حريصين على نشر مبادئه في آفاق الدنيا ، لتأخذ في ظلها سيرها الآمن وقرارها المطمئن .

ومجلة « الوعي الاسلامي » اذ ترحب بالزميلة « الضياء » تدعو الله لها وللقائمين عليها بالتوفيق والسداد والى الامام نحو مستقبل مشرق في خدمة الاسلام والمسلمين .

الوجود القديم للأمة الإسلامية

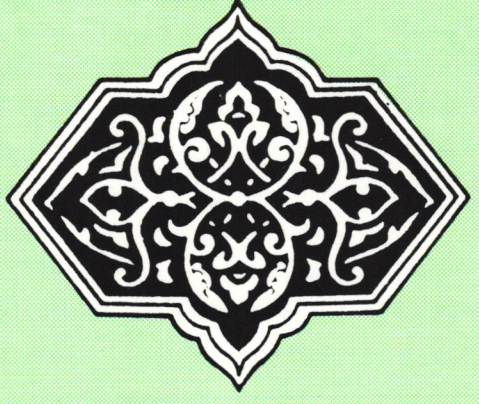

للدكتور محمد البهي

* يسود الوجود القائم للأمة الاسلامية اتجاهان ينتميان الى مصدرين من مصادر التراث البشري في الفكر ، والتوجيه :

أ ـ احد هذين المصدرين وافد من الغرب والشرق الأوروبي . وهو مصدر العلم في عديد من المجالات .. والتطبيق الصناعي له في الأجهزة والآلات ، وفي السلع المصنوعة .. كما هو مصدر القيم المضطربة في سلوك الانسان ، وفي العلاقة في الأسرة والمجتمع .

ب ـ وثاني هذين المصدرين يمثل تراث الأمة الاسلامية في سلوك المسلم في أمته الاسلامية ، وفي علاقة الانسان بالانسان في الأسرة والمجتمع .

* * *

* والشرق الاسلامي أو الوجود القائم للأمة الاسلامية يستقبل في اكبار وتقدير ما يصدره الغرب من علم ومعرفة تجريبية ، وما ينشأ عن تطبيق ذلك من أجهزة وآلات ، وسلع مصنوعة . ليس لأن له حاجة اليها فقط في حياته القائمة ، ولكن لأنه يسعى كذلك مستقبلا لأن يساوق الغرب في علمه التجربي ، وتطبيقه الصناعي ، كي يزيد في رفع مستوى معيشته ، وكي يتمكن يوما ما من استغلال ثروته الخاصة : ما على سطح الأرض وما في باطنها .

والاكبار في استقبال الشرق الاسلامي لما يصدره الغرب من علم تجربي ، وأجهزة وآلات : يصور مفترق الطريق بين الكتاب والمفكرين في الشرق الاسلامي :

بعض من هؤلاء الكتاب والمفكرين يرى أن هذا الذي يصدره الغرب من علم وصناعة هو المدخل لحضارة انسانية عربية متكاملة . فكما يستقبل العلم ، وتستقبل الصناعة الغربية هنا في الوجود القائم للأمة الاسلامية في اكبار واعجاب ، وكما لهذا وذاك من النفع ما يعد ضرورة في حياة الانسان ، أي انسان : كذلك يجب أن تطلب الجوانب الأخرى من الحضارة الغربية حتى تمكن الاستفادة من معرفة الغرب وتطبيقه لهذه المعرفة في مجال الصناعة . والحضارة الغربية عدا جانب العلم

والصناعة ، لها جوانب أخرى :
أ ـ لها جانب السياسة ، ونظـام الحكم .
ب ـ وجانب السلـوك الفـردي في الحياة الخاصة والعامة .
جـ ـ وجانـب الأسرة والأحـوال الشخصية .
* ففي جانب السياسة في الحضارة الغربيـة تعلن هذه السياسـة عن « الفصل » بين الدين والدولة . أي تبعد الدين عن سياسـة الدولـة . والواقع هي لا تبعد الدين . ولكن تبعد الكنيسة وحكومتها عن أن تكون هي المحرك لسياسة الدولة . فسياسـة الحضارة الغربية لا تبعد المسيحية كدين عن أن تكون ذات تأثير على توجيه الدولة في سياستها ، والفصل في الواقع في سياستها هو فصل بين سلطتين أو بين حكومتين : حكومة الهية هي حكومة الكنيسة ، وحكومة بشرية وهي حكومة الدولة , ولو أن سياسة الحضارة الغربية كانت تبعد المسيحية في سياسة الدولة لما رخصت للكنيسة بتعليم خاص تشرف عليه ، ولما رخصت بقيام حزب مسيحـي ديمقراطي يمارس سياسة الحكم ، ولما باشرت تحصيل الضرائب التي تفرضهـا الكنيسـة على المواطنـين والتابعين لها .

نعم : في الكتلة الشيوعية تبعد سياسة الحضارة الغربية : الدين .. وحكومة الكنيسة معـا ، وتحـارب وجود أي منهما في موقع من مواقع الدولة .

ونظام الحكم في الحضارة الغربية هو أحد نظامين : النظام الرأسمالي .. والنظام الماركسي اللينيني . فالنظام الرأسمالي يقوم على أساس الحرية الفرديـة في ملكيـة المال وطريـق استثمـاره . والنظـام الماركسي اللينيني يدعو الى حظر الملكية الفردية للمال . واحلال ملكية الدولة محل الأفراد . فالأفراد عمال وأجراء فيما تملكه الدولة . والدولة يمثلها الحزب الشيوعي وحده .

* وجانب الأصل في السلوك الفردي في الحياة الخاصـة والعامـة ، في الحضارة الغربية : يختلف من نظام للحكم فيها الى آخر . نعم يتميز كل منهما باتجاه خاص في النظرة الى ملكية المال . وعلى هذا الأساس يمكن أن يقـال ان الاختـلاف بينهمـا اقتصادي . ولكن هذه النظرة واقعها ذات صلـة وثيقـة بـ « الحريـة الفردية » ومضمونها ، وحدودها .

ففي ظل النظام الرأسمالي يتمتع الفـرد بحريـة شخصيـة واسعـة النطاق . ليست فقط في تملك المال ، ومباشرة استثماره . ولكن أيضا في السلـوك الخـاص ، وفي الحيـاة العامة . فالفرد هو حجر الزاوية . وهو الهدف في هذا النظام . بينما النظـام الماركسي اللينينـي يلغـى استقلال الفرد ووجوده الخـاص ، وينظر اليه على أنه « جزء من كل » . أي أنه يتحرك بحركة « الكل » فقط . و « الكل » انن هو حجر الزاوية ، وهو الهدف في هذا النظام . وارادة الفرد هي ضمن ارادة الكل . وحرية الفرد في اطار حرية الكل أو ما يسمى

بالمجتمع . وحرية المجتمع يتلقاها من رياسة الحزب الشيوعي .

وتطبيقا لهذا الاختلاف بين النظامين نجده يبرز فقط في اعلان الرأي ، وحق التدين ، واختيار العمل . فنظام الحكم الرأسمالي يتيح الفرص العديدة ، وبمختلف الوسائل ، لاعلان الرأي في سياسة الدولة وصلاحية الحكم أو عدم صلاحيته ، وتأليف الأحزاب السياسية ، وحق الانتماء الى أي دين واقامة دور العبادة ، والجمعيات الدينية ، والنوادي المختلفة ، واختيار أية مهنة . لكن الحزب الشيوعي في نظام الحكم الماركسي اللينيني يمنع الأفراد منعا لا هوادة فيه من ابداء الرأي في سياسة الدولة ، وحق ممارسة الشعائر الخاصة بأية عبادة من العبادات الدينية ، وحق اقامة الأحزاب السياسية والجمعيات الدينية ، وحق اختيار العمل .

وما عدا مجال الرأي وحق الانتماء الى الأديان واختيار العمل فانه لا تبدو مفارقة مميزة بين نوعي السلوك الشخصي في كلا النظامين . ذلك لأنه اذا كان النظام الرأسمالي من قاعدته العريضة في النظرة الى الحرية الفردية : يترك للفرد الحرية الشخصية في علاقة الرجل بالمرأة ، وبسلوك كل منهما في حياته الخاصة ، وبموقف كل منهما مما يستمتع به ، فان قيادة الحزب الشيوعي لحساب الكبت في جانب الرأي ، والتدين ، ونطاق العمل ، ولأسباب أخرى تحمل الانسان على أن يتنازل عن استقلاله وتطلعاته كانسان : تطلق له العنان في علاقة الرجل بالمرأة ، وبالاستمتاع بما يتاح له من امكانيات مادية حسبما يهوى الانسان ويشاء .

فالسلوك الشخصي – وبالأخص السلوك الجنسي – يدخل دائرة الحرية الشخصية في نطاقها الواسع . وليس هناك في أي مجتمع في النظامين ، كنتيجة للعلاقات الجنسية : طفل شرعي وأخر غير شرعي . فالأطفال سواء في نظر القانون ، والرعاية الاجتماعية قائمة ومباحة لكل طفل . والاجهاض ، رغم معارضة الكنيسة له ، في النظام الرأسمالي ، يكاد يكون اليوم ظاهرة اجتماعية عامة في الحضارة الغربية .

* والفصل بين الزوجين في النظام الماركسي اللينيني إن مال الى اليسر ، فانه في النظام الرأسمالي يتجه الى التشدد . نظرا الى أن الأحوال الشخصية تكاد تكون دائرة مغلقة للكنيسة .فهي مجال التبعية لها وممارسة السلطة الالهية فيها . بينما الزواج الديني أو الزواج الكنسي أمر ممنوع في نظام الدولة الماركسية اللينينية .

* * *

ويقول هذا البعض من الكتاب والمفكرين في المجتمعات الاسلامية الحاضرة ، اذا كان من الضروري أن نستفيد من علم الغرب وتجاربه في الصناعات التطبيقية فمن الضروري

أيضا أن نقلده :
في السياسة ونظام الحكم .
وفي جانب السلوك الفردي في الحياة الخاصة والعامة .
وفي جانـب الأسرة والأحـوال الشخصية .

وأخذا بهذا التقليد : يجب – في نظره – أن نأخذ بمبدأ « العلمانية » أو بمبدأ الفصل بين الدين والدولة ، في سياسة الدولة في الوجود القائم للأمة الاسلامية . وبما ان الاسلام ليست له سلطة الهية كسلطة الكنيسة وحكومتها ، فان تطبيق العلمانية أو مبدأ الفصل بين الدين والدولة في المجتمعات الاسلامية معناه :ابعاد الاسلام عن سياسة الدولة . وعندئذ يصير الفصل بين الدين والدولة في هذه المجتمعات أقرب الى الظاهرة الموجودة في المجتمعات الماركسية اللينينية أو المجتمعات الشيوعية . ومجال الاسلام انن في هذه المجتمعات الاسلامية يجب أن يكون في المساجد وحدها ، ولكن بحيث لا يتصل بشأن من شؤون الدولة .فهو يجب أن يعيد اهتمامه فقط بالعلاقة بين الله والانسان المؤمن به .

وتطبيق العلمانية ، أو مبدأ الفصل بين الدين والدولة على هذا النحو : قائم الآن في كثير من المجتمعات الاسلامية . فأمر المسلمين في المجتمعات الاسلامية ، فيما يتعلق بممارستهم الايمان بالله يخضع خضوعا كاملا لسياسة الدولة . والدولة هي التي تشرف على معاهد التعليم الديني . والدولة هي التي تتولى ادارة الأوقاف الاسلامية . والدولة هي التي تتصرف في شأن مشيخة الاسلام أو منصب امام الأئمة . والدولة هي التي ترسم الطريق لجعل الاسلام في خدمة السياسة . والدولة هي التي توجه الاسلام في وسائل الاعلام . والدولة هي التي تراقب ما يكتب باسم الاسلام . والقرآن اذا كان كله هو كتاب الله فالدولة قد تبيح تلاوة بعضه ، وتحرم تلاوة البعض الآخر منه . والأحزاب التي تمثل سياسة الدولة تبعد الاسلام عن أن يمارس أحد باسمه توجيها في سياسة الدولة بينما يوجد فيها ما يسمى « باليسار » . واليسار هو الاتجاه الذي يؤيد « الالحاد العلمي » وينشر الفوضى الخلقية في سلوك الشبان وفي علاقة الرجل بالمرأة .

والاسلام لا يعرف الحكومة الالهية لأن عصمة الانسان غير قائمة في نظره . فالانسان اذا تولى الحكم بالقرآن فهو مجتهد في تطبيق مبادئه : يخطئ ويصيب . وعصمة القرآن لا تمتد الى الانسان المؤمن به . وعصمة الرسول عليه السلام كانت فيما يبلغه من الوحي : **(وما ينطق عن الهوى . ان هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى)** النجم ٣ – ٥ .

أما في نظام الكنيسة فرئيسها له العصمة . منذ أن يصبح رئيسا لها . وما ينطق به يلتزم به المؤمنون بها ، فهو لا يقبل المراجعة . ومن هنا كانت حكومة الكنيسة حكومة الهية . أي معصومة عن الخطأ . ومن يتصور

من الكتاب في المجتمعات الاسلامية : ان الحكم بالاسلام حكم الهى فقد تصور خطأ . اذ هناك فرق واضح بين الحاكم بالقرآن .. والقرآن ذاته . فالحاكم انسان غير معصوم ، والقرآن كتاب الله معصوم . ولا يعرف الاسلام : « حلول الله » في الانسان ، حتى يكون هذا الانسان يوما ما مستحيلا عليه الخطأ ، بحلول الله فيه .

* وفي نظام الحكم تأخذ الآن المجتمعات الاسلامية فعلا في وجودها القائم اما بالنظام الرأسمالي .. أو بالنظام الماركسي الاشتراكي . وهي كلها موزعة على هذين النظامين . وفي تبعيتها لهذين النظامين لا تسد فراغا فيها لا يستطيع ان يشغله الاسلام . وانما تأخذ بأحد هذين النظامين لأنها أكرهت على الأخذ به . ومصدر الاكراه لها هو ضعف صلة الطبقة الحاكمة بالمبادئ الاسلامية من جهة ، وخشيتها من أن ينالها حكم الاسلام بعدم الصلاحية للحكم من جهة أخرى .

فالاسلام له نظرة خاصة الى المال . ليست هي نظرة الرأسمالية .. وليست هي نظرة الاشتراكية الماركسية . فالملكية للمال في الاسلام ملكية خاصة ، ومنفعة المال الخاص فيه منفعة عامة . وتقوم هذه النظرة على مبدأين :

المبدأ الأول : استخلاف الانسان في الحياة الدنيا على المال ، وتفويضه من المالك الحقيقي ، وهو الله ، في جمعه ، وتنميته ، واستثماره ، وانفاقه : **(آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير)** الحديد / ٧ . وعلى هذا المبدأ تتأصل الملكية الخاصة للمال . أي تكون هي الأصل ، ولا يخرج عن هذا الأصل الا للضرورة . كضرورة الحفاظ على وحدة الأمة ، على نحو ما صنع عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ حبس سواد العراق على خير الأمة كلها ، بدلا من توزيعه على المشتركين في القتال كما هو القاعدة في قسمة الغنائم ، بعد أن رأى أن التوزيع سوف يكون مثار حقد ، ومصدر فرقة بين المسلمين .

والمبدأ الثاني : أن منفعة هذا المال الخاص هي منفعة عامة للمالك ولغيره من أصحاب الحاجة في الأمة . أي لا تستتبع الملكية الخاصة للمال : المنفعة الخاصة به لمالكه : **(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون)** النحل / ٧١

فالآية تقرر ثلاث حقائق :

الحقيقة الاولى : أن الناس متفاوتون في الرزق أو في المال . ولهم مستويات مختلفة في ملكية المال : فيهم الثرى .. وفيهم من يملك الكفاية منه .. وفيهم من لا يملك وصاحب حاجة اليه . وهي حقيقة تمثل الواقع ، كما تمثل خصيصة الطبيعة البشرية في التملك .

الحقيقة الثانية : أن الذين يعطون من

منفعة أموالهم لآخريـن معهـم في المجتمع لا يحق لهم التملك للمال ، وهم الأرقاء ، لا يعطونهم في واقع الأمر من نصيبهم هم في المنفعة الذي لهم في الأموال . وانما يعطونهم من المنفعـة بصفـة عامـة التـي هي للأموال .

الحقيقة الثالثـة : ان من يملك المال ، ومن لايملك المال : سواء في وجوب المشاركة في منفعة المال الذي هو بيد البعض دون البعض والذي استخلفـه اللـه عليـه في انمائـه واستثماره وانفاقـه . ومـن ينـكر المساواة في منفعة المال بين صاحبه وصاحب الحاجة اليه ، فهو ينـكر نعمة الله عليه . ولذا مانع الزكاة يقاتل حتى يخرجها ... والسفيـه تنزع امواله من تحت يده على ان يعطى حصة من منفعتها او يعمل فيها ليرتزق من عمله فيها : **(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا)** النساء / ٥ فنسبت الاية اموال السفهاء الى المسلمين جميعـا لعمـوم منفعتهـا ولتبرير انتزاعها من ايدي اصحابها بسبب السفه .

ونظـرة الاسـلام هذه الى المال لاتجعل لاصحاب الاموال حرية مطلقة في التصرف لا في المال ولا في منفعته بل تصرفهم في المال وفي منفعته مرهون بحدود التفويض الصادر من اللـه المالك الحقيقي والى المستخلف عليه . وتفويضه في التصرف هو ما جاء في القرآن . وما جاء في القرآن : منه ما هو خاص بانفاق المالك على نفسه وهو حد الاعتدال : **(ولا تجعـل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسـورا)** الاسراء / ٢٩ ومنه ما هو خاص باصحاب الحاجة : وهو عدم الارجاء في توصيل حقوقهم في منفعة المال اليهم : **(وآت ذا القربـى حقـه والمسكين وابن السبيـل ولاتبـذر تبذيرا)** الاسراء / ٢٦ اي لا تكن سفيها في المال فتنفقه في غير نفع لك او للمسلمين . **(إن المبذرين كانـوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهـم قولا ميسـورا)** الاسراء / ٢٧ و٢٨ .. **(وهو الـذي انشـأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والـزرع مختلفـا أكلـه والزيتون والرمان متشابها وغـير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمـر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** الانعام / ١٤١ ومنه ما هو خاص بانماء المال فلا تكون وسيلة انمائه غير مشروعة كالتعامل بالربا ولو بادنى درجاته لان الربا وهو يقوم على انتهاز حاجة الغير يؤدي الى اضراره . والاضرار بالمال ضد وظيفته الاجتماعية التي تتمثل في منفعة العامة للمالك ولغير المالك على السواء وحرمة الربا لاتقوم فقط على تفويت المال لوظيفتـه الاجتماعيـة بسبب الحرمان من منفعته بل لانه

كذلك يوصل الضرر الى الاخرين .
واذن حدود هذا التصرف المأذون فيه في المال هو :
* الاعتدال في الانفاق الخاص .
* توصيل منفعته لاصحاب الحقوق فيها في غير ارجاء .
* عدم الاسراف او عدم السفه في انفاق جزء منه ولو قليلا والاسراف او السفه في المال هو انفاقه في محرم ولو كان قليلا كانفاقه في مسكر او في منكر كالقمار وفيما هو ضد مصلحة المسلمين كمساعدة اعدائهم او التآمر معهم عليهم ...
* عدم استخدام الربا في انمائه .
ولان الملكية الخاصة هي اذن الاصل الثابت في الاسلام كان التدخل في هذه الملكية بالحجر على بعض المال أو الحجر على منفعة بعضه فضلا عن الحجر عليه كله او الحمل على تركه او ترك بعضه للدولة : امرا لايقره الاسلام : **(قل لا أجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم)** الانعام / ١٤٥ .

فالقرآن يرد بهذا التبليغ الالهي على ما كان شائعا ومعروفا في سياسة الكهنة . وسياسة الكهنة تمثل ما يسمى بسياسة الحكومة الدينية في الماضي . وكانت هذه الحكومة في العهد الجاهلي او العهد الوثني المادي تتدخل في الملكيات الخاصة . ويحكى القرآن هذا التدخل في عدة صور :

* التدخل باخذ نصيب من المحاصيل الزراعية او من الثروة الحيوانية باسم البر او الخير يعطي للكهان ولكن يحتفظون به لانفسهم لانهم القائمون بالسياسة : **(وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون)** الانعام / ١٣٦ .
* منع التصرف في بعض انواع معينة من الثروة الحيوانية ومن المحاصيل الزراعية ، الا باذن من الكهان : **(وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون)** الانعام / ١٣٨ .
* التدخل فيما يباح وما لايباح في الاكل للنساء دون الرجال أو النساء والرجال معا : **(وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم)** الانعام / ١٣٩ .
* التدخل فيما يستخدم من الحيوان في فترة معينة في الحمل والركوب وما لا يستخدم مما هو مملوك للناس : **(ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون)** المائدة / ١٠٣ .

فالقران ينقل عن الله هنا : ان ما

يملكه الناس من ثروة ومال ، ممثلا في الزراعة أو الحيـوان ـ والزراعـة والحيوان يمثلان اساس الاقتصاد العام في كل مجتمع ـ لايجوز التدخل فيه بوجه من الوجوه وينبغـي ان لايكون هناك تدخل بالحل والحرمة في صورة ما يأذن به الله .

نعم يتدخل القرآن بالحل والحرمة فيما يمس كرامة الناس او علاقة بعضهم ببعض على نحو ما يقـول القرآن ـ في سورة الانعام ـ تعقيبا على صنيع الكهـان في الحكومـات الالهية السابقة في قول الله تعالى :

(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالديـن إحسانـا ولا تقتلـوا أولادكم من إملاق نحن نرزقـكم وإياهـم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلـون . ولاتقربـوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطي مستقيمـا فاتبعـوه ولا تتبعـوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الانعام / ١٥١ ـ ١٥٣ .

* وفي جانب السلوك الفردي في الحياة الخاصة والعامة ينصح بعض هؤلاء الكتـاب والمفكريـن المجتمعـات الاسلامية في وجودها القائم : بان تأخذ ما هو شائع في هذا السلوك لدى الغرب او الشرق الاوروبـي وتغض النظر عما يحكيه الماضي الاسلامي من قيم عليا في الحياة السلوكية ، ورغم ان شعوب العالم الاسلامي تبدأ نهضة جديدة تحتاج فيها الى جدية وقوة في الترابط على اساس من المعاني الانسانية التي يوحي بها الاسلام في العلاقات بين المؤمنين به .

ولكن نصح هؤلاء الكتاب والمفكرين بما ينصحون به هذه المجتمعات قائم على الترابط الوثيـق بـين جوانـب الحضارة الغربية ككل لا يتجزأ .

ولا يتصور هذا البعض من الكتاب والمفكرين انه يمكن تقليد الغربي في علمه وتطبيقه الصناعي ، مع احتفاظ المجتمعـات الاسلاميـة بقيمهـا وعلاقاتها بين الافراد القائمة على هذه القيم بل يرون ذلك معادلة صعبـة لايمكن تحقيقها .

وهم فيما يتصورون يصدرون عن الخلافات الطويلة بين الكنيسـة في اوروبا ورجال العلم والمعرفة منـذ القرون الوسطى فيها . وهي خلافات شحنت بالمهاترات وتبادل الاتهامات وسيطرت عليها الرغبـة في التفـرد بالسلطة من جانب الكنيسة او من جانـب الدولـة في المجتمعـات الاوروبية .

ومن الاسـف قصـور المعرفـة بالاسلام عند هذا البعض من الكتاب والمفكرين في وجودنا القائم يجعلـه يقيس الاسـلام على الكنيسـة وتصرفاتها في الغرب بينما الاسلام لا يدعو الا الى ان يكون هناك جانب

انساني يسود العلاقة بين الافراد ويجعل « الاحسان » في هذه العلاقة هدفا يجب ان يسعى اليه الانسان المسلم كما يسعى الى العدل سواء ، فالاحسان يساوق العدل في الامر به من جانب الله : (**إن الله يامر بالعدل والاحسان**) النحل / ٩٠ .

وليس الاحسان هو بذل العطاء من المال فقط وانما الاحسان يعم :

* الاحسان في القول والحديث : (**وقولوا للناس حسنا**) البقرة / ٨٣ .

* الاحسان في معاملة الوالدين : (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا**) النساء / ٣٦

* الاحسان في الفرقة والطلاق : (**الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان**) البقرة / ٢٢٩ .

* الاحسان في الخصومة : (**ادفع بالتي هي أحسن السيئة**) المؤمنون / ٩٦

* الاحسان في الجدل : (**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**) العنكبوت / ٤٦

* الاحسان في الدعوة الى الاسلام : (**وجادلهم بالتي هي أحسن**) النحل / ١٢٥

* الاحسان في دفع المغارم والديون : (**فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان**) البقرة / ١٧٨ .

* الاحسان في مباشرة مال القاصر والضعيف : (**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ اشده**) الاسراء / ٣٤ .

فالاحسان هو تعبير عن المستوى الانساني في كل ما يصدره الانسان المحسن في علاقته بغيره ... هو التهذيب .. هو تجنب ما يسيء ولو بالاشارة ولايمكن ان يكون هناك مستوى انساني مع الفوضى والتحلل من الاعتبارات الاخلاقية في المعاملة والعلاقات .

ولا ادري كيف لايمكن الاخذ بعلم الغرب ـ وليس بفلسفته ـ وتطبيقه في مجال الصناعة مع ما ينصح به الاسلام من اداء الواجب ، والاحسان في القول ، والعمل ، والمعاملة ؟

ايستقيم ذلك فقط مع شرب الخمر ... ولعب القمار ... وقول الزور .. واستغلال الضعيف .. واللهو بالنساء ... واستباحة الحرمات الشخصية : حرمة المال والعرض والنفس والمسكن ؟

* * * *

* ويأتي الان الجانب الاخير الذي ينصح به بعض الكتاب والمفكرين في هذه المجتمعات الاسلامية القائمة بوجود التقليد فيه لحضارة الغرب مع علمه وصناعته وهو جانب الاسرة او الاحوال الشخصية او جانب الطلاق والزواج وعمل المرأة خارج المنزل .

والغرب ليس له اتجاه واحد في شؤون الاسرة وانما له اتجاهان : اتجاه الكنيسة الكاثوليكية .. واتجاه اخر وهو الاتجاه الجديد او

الاتجاه الحر الذي يرتبط بعمل المرأة في الخارج او الذي يتأثر بالعامل الاقتصادي في الحياة الاوروبية .

فاتجاه الكنيسة الكاثوليكية يبارك « الابدية » في الزواج لانه عقد الهي اي يرفض الطلاق وان كان يأخذ لاسباب تشوب صحة عقد الزواج في القليل من الحالات ، بالغائه او بفسخه . ويتيح الفرصة عند اشتداد الخلاف بين الزوجين لما يسمى بالانفصال « البدني » وهذا الانفصال البدني يمنع من زواج الرجل بامرأة اخرى كما يمنع زواج المرأة المنفصلة من رجل اخر وان كان يبيح معاشرة كل منهما لشخص اجنبي عنهما معاشرة جنسية قد تسفر عن طفل غير شرعي يتبناه المجتمع او الدولة .

والزوجة في العقد الكاثوليكي تلحق بالزوج اي ان كيانها يفقد استقلاله في جوانب عديدة وبالاخص فيما يتعلق بالملكية والتصرفات المالية .

واما الاتجاه الجديد الحر فيسعى لان يتخلص من القضاء في شأن الطلاق . على معنى ان تكون ارادة الزوجين أو رغبتهما في الطلاق ، هي وحدها العامل الحاسم فيه ، كي يساوق الأمر عندئذ تسجيل الزواج الذي يتم بارادة الطرفين . وفعلا يحرز هذا الاتجاه تقدما في بعض دول شمال أوروبا ، كالسويد . إذ اعتبرت الدولة هناك ان الطلاق بارادة الزوجين المشتركة يتم في السجل المدني دون حاجة الى عرض الامر على القضاء وينظر القضاء فقط : الحالات التي يتنازع فيها الزوجان حول الطلاق . فالطلاق في الاتجاه الجديد اذن بيد الزوجين .

وهذا الاتجاه منطلق الان نحو إلغاء الزواج كعقد ملزم للرجل والمرأة في الترابط على نحو معين تضمن الدولة تنفيذه واحلال المعاشرة الجنسية الحرة محل عقد الزواج طالما ان المرأة قد تساوت مع الرجل في الخروج إلى الحياة العامة والعمل فيها ، وطالما أن النفقة امر مشترك والعمل في المنزل امر مشترك كذلك الا اذا عمل اي من الرجل او المرأة في المنزل عندئذ يدفع الطرف الاخر نفقة المعيشة للاثنين رجلا او امرأة على السواء .

وبهذا الانطلاق الجديد للاتجاه الحر في شؤون الاسرة يعفي الرجل وتعفى المرأة نفسها من تدخل الدولة في المعاشرة بينهما . ويبقى للدولة فقط رعاية الاطفال الناشئة عن هذه المعاشرة ولا يعني الدولة في هذه الرعاية ان كان الطفل شرعيا او غير شرعي .

وفي كلا الاتجاهين : تعدد الزوجة لرجل واحد ممنوع . ولكن الزواج « الجماعي » غير ممنوع وتبادل الزوجات غير ممنوع واللواط غير ممنوع والزنا لم يعد سببا للفرقة بين الزوجين كما لم يعد جريمة خلقية على الاطلاق وعلاقة « الصداقة » بين امرأة متزوجة ورجل اجنبي عنها ورجل متزوج وامرأة اجنبية عنه لا تنكرها الحياة الاوروبية العامة وبالاخص في الدول الصناعية بينها . والمهم ان تكون هناك زوجة واحدة في

عقد زواج لرجل واحد . والتعدد خارج العقد على اي نحو امر غير منكر على الاقل .

ونصيحة بعض الكاتبين والمفكرين في المجتمعات الاسلامية في وجودها القائم هي تقييد الطلاق والغاء الترخيص بتعدد الزوجات .. هي تدخل القضاء في امر الطلاق ، وتدخل التشريع بقصر الزواج في عقد الزوجية على امرأة واحدة .

وفاتت هذه النصيحة : ان الطلاق في الاسلام حل لمشكلة التضرر في المعاشرة الزوجية وهو بيد الرجل والمرأة لها مقابل الطلاق ان تضررت : ان تخلع نفسها والخلع امره معروف وهو في نظر بعض الفقهاء فسخ لعقد الزوجية ، لا يحتاج الى ايقاع الطلاق من الزوج ، بل للقاضي ان يفصل بينهما فصلا غير قابل للرجعة .

.. اي ان الطلاق والخلع كلاهما طريق طبيعي لرفع الضرر في الحياة الزوجية وتقييده او منعه عن غير طريق التهذيب والتربية الاسلامية يخل بهدفه ويصعب امر الزوجية ويشيع اسرارها ويلحق بها اضرارا كثيرة وفاتها ايضا ان تعدد الزوجات رخصة اذن بها الاسلام للضرورة ، اذن بها للحيلولة دون الوقوع في الزنا في صورة ما . وامر الاسرة في الحضارة الغربية لم يمنع تعدد معاشرة الرجل للمرأة معاشرة جنسية في واقع الحياة ، وان منع تعدد الزوجات في الشكل والرسميات . والزنا في هذه الحضارة يكاد يكون وباء عاما كما يكاد تكون النظرة اليه شأنا عاديا .

والان : الم يزل يستوجب الاخذ بالعلم الغربي والصناعة الغربية .. احتضان :

* العلمانية في سياسة الغرب ؟
* واتباع النظام الرأسمالي او الماركسي الاشتراكي في الحكم ؟
* وشرعية الفوضى ، والتحلل ، والاستهتار بالقيم العليا في السلوك الفردي ومباشرة المنكرات من شرب الخمور والقمار وغيرها في الحياة العامة ؟
* ومنع الطلاق وتعدد الزوجات في الاحوال الشخصية واحلال الانفصال البدني محل الطلاق وما يترتب على هذا الانفصال من شيوع الطفل غير الشرعي واحلال الزنا في صوره العديدة محل تعدد الزوجات ؟

ام ان ما يدعو اليه هذا البعض من الكتاب والمفكرين في مجتمعاتنا الاسلامية القائمة من اخذ الوان الحضارة الغربية الاخرى بجانب ما للغرب من علم تجريبي وصناعة تطبيقية : يصور حملة ضد الاسلام مساوقة للحملات الاخرى التي توجه الى الشباب المسلم كي يعف عن الاسلام ويتركه في الماضي البعيد عنه وحده ؟ ام انه يصور جهلا بمباديء الاسلام وعجزا عن فهم مبادئه وتغطية لهذا الجهل والعجز يطلب الاخذ بالوان الحضارة الغربية طالما للعلم الغربي التجريبي وللصناعة الغربية المتقدمة ضرورة في حياة الناس ، كل الناس على وجه هذه الارض ؟

عظمة الهجرة

للاستاذ احمد عبدالمحسن المنشاوي

في هذا الشهر العظيم المحرم الذي يظل المسلمين بهلاله الكريم ـ يحلو لنا أن نتحدث عن الحدث الكبير ـ الذي غير وجه التاريخ وحول مجراه ، وألبسه حللا من المجد والفخار ، وجعل أسطره مقيمة مقدرة ، بعد ان كانت لا شيء يذكر ، خالية تماما من كل تقييم وتقدير ..

إنه حادث الهجرة الكريمة الذي ما زال يملى على الناس في كل مكان وزمان مفاهيم جديدة ، تكشف امام العقل البشري عن شخصية رسولنا الكريم ، وكيف كان الرسول عليه الصلاة والسلام ـ الانسان والرسول ـ الانسان بما فيه من صفات كاملة فطره الله عليها ، والتي كانت المنبع والمنهل للانسانية الحقة التي أنس لها الوجود ، واطمأنت لها الحياة واستظل في وارف ظلالها الناس جميعا آمنين على اقدس ما يملكون ، واعظم ما يحتفظون وهي إنسانيتهم وبشريتهم ، ، تلك التي ضاعت وضلت الطريق ، حتى في أرقى الأمم حضارة وفي أزهى العصور علما ومعرفة فلم تستطع تلك الحضارات ان تحتفظ لها بأنسانيتها ، وأن تقيم لها بشريتها مثل ما حفظها محمد صلى الله عليه وسلم في كلماته وأحاديثه ، ومثل ما يقيمها الرسول في منهجه وخلقه وشريعته ، والتي حملها إلى الناس من رب العالمين .

إن فلاسفة اليونان وحكماء الاغريق قد اجهدوا انفسهم ليحددوا معنى الانسانية ، ويقيموا معنى البشرية حتى يضعوا في إطار هذا التحديد ، وعلى نمط هذا التقييم قانون الآخلاق ، وضوابط السلوك ، ليكون الانسان مقدسا ، لكنهم غلبوا على امرهم بمادية الحياة وفتنة الملك ـ ففرقوا بين الانسانية واعترفوا في منهجهم الفلسفي والاخلاقي بالطبقية ، والفوارق الاجتماعية والجنسية ، وماكادوا يصلون إلى ما كانوا ينشدونه حتى نكسوا على رءوسهم ...

لكن محمدا صلى الله عليه وسلم اقام صرح الانسانية على خلق وسلوك

ومنهج تطبيقي ، كان الانسان فيه هو خليفة الله في ارض الله ، وكان الانسان فيه هو السيد في هذا الكون ، لا مادية تحكمه ، ولا جاه يستعبده ، ولا بغى ولا ظلم يقهره ويستبد به .

كل هذا واكثر سنتبينه حين نتحدث عن الهجرة بل عن الهجرات التي قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

معنى كلمة الهجرة وما توحي به

إن للغة العربية دخلا كبيرا في تحديد الاطار المعنوي للكلمة ، وهذا أمر لا بد من ادراكه خصوصا في كلمة الهجرة تلك الكلمة التي هي من جوامع الكلم وإن تجاوزنا في التفسير نستطيع ان نقول : إنها كلمة واحدة تتسع لأكثر من معنى .

فهناك كلمة هجر وكلمة هاجر وكلا الفعلين يجتمعان في مصدر واحد هو كلمة هجرة وتصريف الكلمة الأولى هجر يهجر والمصدر هجرة وأيضا كلمة هاجر يهاجر والمصدر هجرة : ولكن ما يوحي به الفعل الأول غير ما يوحي به الفعل الثاني . فان الفعل الأول هجر معناه يدل على الانتقال الروحي ، كما يدل على الاحتجاب والتجنب للشيء الذي يراد هجره ، مع البقاء في البيئة ـ فهو لا يقتضي في معناه الانتقال الجسمي ولا الانتقال بالحركة ولا الترك للمكان ـ وأما الفعل الثاني هاجر فانه يقتضي معنى واحدا هو الانتقال الجسمي والانتقال بالحركة والبعد عن الوطن والمكان والبيئة ، ولقد اجتمع كل من المعنيين للفعلين في المصدر الذي اتحدت فيه التصريفات الفعلية .

وبهذه المراجعة البسيطة لهذه المفاهيم نرى ان الهجرة ما هي الا ـ قوة وعزم واعداد ـ قوة في شخصية المهاجر ، وعزم على المضي منه في السير على الطريق الذي يدعو اليه وينشده ، واعداد لنصرة دعوته او رأيه أو عقيدته ، ، وعلى ذلك لا يمكن ان يوصف المهاجرون الذين هاجروا مرات في الاسلام قبل الهجرة الى المدينة بالضعف ولا بالهوان ولا بالفراغ امام قوة كانت تخيفهم وترهبهم ، ذلك لأن هذه الصفات لا يمكن ان تكون إلا في المتخاذلين ، وهم ليسوا بمتخاذلين .. لانهم بدلوا دين آبائهم بدين الحق ، وجهروا به في زحمة الطغيان والشرك ، وصولجان الملك وقوة المادة ، ولم يتخاذلوا ولم يستسلموا ، بل كانوا قوة في نظر المشركين تؤرق مضاجعهم وتقلق راحتهم ، وتنغص حياتهم ولقد شهدوا لهم بذلك : ولو كانوا في نظر المشركين غير ذلك ما سهرت عيونهم على مراقبتهم ، وما عقدت نواديهم على محاربتهم ، ولكان الامر عليهم سهلا ميسورا ، خصوصا إذا علمنا ان من بين صفوف المهاجرين من كانوا عبيدا للمشركين ، لا يزالون يملكون رقابهم ولم تتحرر بعد .

وكذلك المهاجر قوة إرادية قد عجز التاريخ عن الترجمة لها ـ وألقى بأقلامه بعد ان تجمدت في ايدي اصحابها .. والدليل على ذلك اننا لو نظرنا إلى الحياة التي انتقلوا إليها

بعد إسلامهم ، والحياة التي كانوا فيها وهم على دين الشرك ، لوجدنا ان الحياة الثانية لهم ـ كانت حيـاة شظف وحرب وتعذيب وترصد لهم : واي نفس بشرية ترضى بذلك إن لم تكن نفسا قد هاجرت بدافع من قوة ارادية نابعة من نفس راضية ، مؤمنة بأفضلية ما انتقلت اليه ـ وحسبك شاهد انه كان من بين صفوفهم العبيد الذين ذاقوا رغد العيش ، وطيب المقام في كنف اسيادهم ـ قد رضوا بالحياة الثانية واستصغروا كل متاع كانوا فيه بما ادركوه من قوة إرادية ، ، وإرادة قوية في ظل الدين الجديد ، وفي ظل التبعية لمحمد صلى الله عليـه وسلم .

الهجرة الاولى والثانية وما حققتهما من نتائج للاسلام

يحدثنا التاريـخ الاسلامـي ان الرسول الكريم حين بدأ بالدعوة آمن بها نفر قليل من الناس ، وقد خرج هؤلاء النفر من بين صفوف المشركين ليكونوا الصف الاول للدين الجديد ، ولما كانت الدعوة مدركة من المشركين على انها حدث مفاجيء وحدث جديد ـ يذيب ما كان لهـم من كبريـاء وسلطان انبرى هؤلاء المشركون من اللحظة الأولى لفتنة هذا النفر الذي آمن بالله وبالدعوة واشتـد إيـذاء المشركين لهم ، واشتد مع الايـذاء التنكيل بهم ، حتى استشهـد اول شهيد في الاسلام وهو عائلة ياسر تلك العائلة التي ضربت بسهم وافر في الايمان والتضحية والاستشهاد وما كان يملك لهم المسلمون في تلك الآونة ولا رسول الله شيئا إلا تلك الكلمات التي خلدها التاريخ وقالها الرسول لهم وهم يلقون الموت واحدا بعـد الاخر : (صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة) .

واضطر المسلمون إلى الهجرة ، واذن لهم الرسول الكريـم بالهجـرة إلى الحبشة ، فهاجر منهم نفر ، وبقى في مكة منهم نفر .

وهنا يجب ان نرجع بأمانة التاريخ والعلم إلى الوقوف لحظة مع هؤلاء المهاجرين ، فلسنا في هذه المحاضرة نريد سرد قصة الهجرة سردا تاريخيا فقط ـ ولكن نريد ان ننفذ بالتعميق إلى شخصية المهاجر ـ وإلى تقييم العمل الذي وكل إليه خصوصا إذا علمنا ان الهجـرة قد اتجهـت إلى الحبشة ـ وهي ليست دار إسلام ولا دار رحم ، واذا علمنا ان المهاجر سينفذ ألى هذا البلد بعد ان يمر على بلاد اخرى ودول أخرى ، قد تعددت فيها المعتقدات وتعددت فيها اللهجات واللغات ، واكبر من ذلك قد تعددت فيها المناهج الدينية والاخلاقيـة ـ فأول بلد هي اليمن المسيحية والتي تتبع الفرس في الادارة والتنظيم ، ثم السودان الجنوبي ، ثم الصومال ، وهما على دين الوثنية بل وعلى أديان اخـرى لم تتصـل بالرسـالات السماوية ، ثم إلى الحبشة المسيحية وفيها الامبراطـور النجـاشي وهـو

الوكيل الأول للمسيحيين . كل هذا يحملنا على الوقوف بالدرس قدر ما في طاقتنا العلمية أمام شخصية المهاجر خصوصا إذا علمنا انه ممثل للرسول في هذه الهجرة ـ وأنه صاحب دين يتعارض مع أصحاب هذه البلاد التي يسير عليها .

لقد جرت العادة بأن الأمم ترسل سفراء لها يمثلونها في الدول الاخرى ويكونون حلقة الاتصال والتعارف والترابط بينها وبين تلك الدول ـ وفوق ذلك إن استطاع سفراء ان ينقلوا شيئا من الانظمة السياسية او المذاهب السياسية التي تدين بها اممهم إلى تلك الدول تكون مهمة السفير لدى دولته قد اصبحت ناجحة كل النجاح .

وليس كل انسان يستطيع ان يقوم بهذا التمثيل ، وان يؤدي السفارة حق الاداء ، لذلك تجهد الامم نفسها في انتقاء رجال من بين صفوف رعيتها يكونون اهلا لتحمل هذه المسئولية ، وتكون قد توافرت فيهم صفات اقلها تلك الصفات التي تعارف عليها الناس باسم الصفات الدبلوماسية ـ وهي السياسة وحسن التخاطب والتصرف ـ .

والمهاجرون إلى الحبشة هم في الواقع سفراء للدعوة الاسلامية وممثلون للدين ولشخصية الرسول الكريم ـ إذن فلا بد من ان تتوافر في المهاجرين تلك الصفات التي هي للسفراء ـ والتي ابرزها دبلوماسية الشخصية .. او الشخصية الدبلوماسية .

وقد تكون مهمة السفراء سهلة ميسورة ذلك لانهم لا يمكن لهم ان يدخلوا بلدا الا باذن من حكومتها ، اما المهاجر فهو سفير عليه ان يخلق لنفسه على طريق الهجرة صفة القبول لدى الدولة المهاجر إليها وعليه ان يخلق لنفسه قوة الشخصية وقوة التأثير ليستطيع اجتياز البلاد التي سيمر عليها إذن فليس هو انسان عادي قد تعارف على دين فاعتنقه ، بل هو شخصية دبلوماسية ، وقد امن له الرسول صاحب الرسالة على ان يكون ممثلا له تمثيلا شخصيا وتمثيلا سياسيا ، وإذا كانت الشروط في التمثيل الشخصي لملك او رئيس تقتضي ابراز اهم الصفات التي تحدد الاطار الصادق لهذا الرئيس او ذاك الملك فمن الصعب جدا ان يكون هناك من يمثل اطار الرسول الكريم الا ما اطمأن اليه الرسول في هذا التمثيل وهم المهاجرون .

تقييم العمل المنوط بهم « بالمهاجرين »

قد تكون النظرة البسيطة والضوء البسيط الذي يلقيه الانسان العادي على العمل المنوط به هؤلاء المهاجرون هو مجرد طلبهم لأرض بعيدة يكون بها امان اكثر ، وحسن جوار اكثر ـ ولكن النظرة من العلماء تختلف تماما مع هذه النظرة البسيطة لهذا العمل الجليل ، فالمهاجرون قد التقوا على

الهجرة اولا بأهل اليمن ، وهم متصلون بهم عن طريق الأرحام ، وفي مقدورهم آنذاك استضافتهم وحسن جوارهم ومنعتهم ، لكن ما كانت اليمن محط رحالهم إنما كانت الحبشة .

إذن فطول الطريق الذي كلفوا ان يقطعوه ، وبعد البلد الذي حدد لهم ، يظهر لنا طبيعة العمل الذي نيط بهم (إنه التبشير بالدين الاسلامي) في هذه البلاد التي يمرون عليها ، والتي يستقرون بها ، ولكنه من نوع لم يسبق للانسانية التعرف عليه .

فالمبشرون يزودون بأموال كثيرة وخبرات متعددة من دولهم كالزراعة والصناعة والطب فوق القدرات الدينية التي لهم ـ حتى يستطيعوا اداء مهمة التبشير . ولم يكن هذا مع المهاجرين ولن يتيسر لهم ذلك ـ وهم مسئولون امام الله والضمير عن اظهار دينهم لهذه البلاد وهنا تظهر ايضا قوة الدبلوماسية الشخصية للمهاجر وسياسته ، فانها تعلو فوق كل تمثيل سياسي تعارف عليه الناس .

وإذا وضعنا في حسباننا ان القوانين التي تؤمن الطرق لم تكن متوفرة ، ولا العلاقات الدولية قائمة وفوق ذلك فان مصادرة الحريات كان سهلا ميسورا امام النخاسين ، تجار الرقيق واهل الغارة على القوافل منه نتبين كيف استطاع المهاجرون أن ينفذوا إلى الحبشة في مثل هذا الطريق ، وكيف هيأوا الاذهان في الدول التي مروا بها لاستقبال دين جديد ، أو على الاقل لاخبار العالم هذا بظهور بعثة جديدة قد لا يلتفت اليها الكثير من الناس ، إنما على الاقل ستعلق ببعض الأذهان وتكون لها تأثيراتها في المستقبل .

ولقد أتت هذه الهجرات إلى الحبشة بما كان يريده الرسول صلى الله عليه وسلم من ابلاغ الدعوة إلى أقصى الجنوب ، وكان من ثمرة هذه الهجرات ان اسلمت أمة في الجنوب للدين الجديد قبل أن يغزو الاسلام مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ وهذه الأمة هي (مروتانيا) التي لا يوجد من بين أبنائها من هو علي غير دين الاسلام ، وكذلك خلف الاسلام في الصومال اثاره حيث اعتنق بعض ابناء الصومال الدين الاسلامي على يد المهاجرين الأوائل .

الهجرة سنة الله التي سار على دربها كثير من الأنبياء

والهجرة ليست حدثا جديدا ولا سنة مستحدثة : فنحن لو تصفحنا آيات من القرآن الكريم لوجدنا انها طريق سار على دربه كثير من الانبياء والمرسلين . ولما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تسير على فطرة من الرسل كان لا بد من ان يهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يتوافق مع اخوانه الانبياء والمرسلين . وان الهجرة قد يختلف طابعها من رسالة الى اخرى . ولكن هي في جوهرها هجرة مسنونة وفطرة

من الله تعالى .. ونحن حين ننظر الى آية من سورة الاسراء وهي الآية التي تقول :

(وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذن لا يلبثون خلافك الا قليلا . سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا) الاسراء ٧٦, ٧٧نجد من هذه الآية انه لا بد من وقوع الهجرة وهي قدر من الله تعالى ، الغرض منها : تحويل وقع الرسالة وقوتها إلى ميدان ايجابي تؤتى فيه بثمرتها وتمكن رسولها من الابلاغ المنوط ، والمكلف به من الله تعالى . وهؤلاء هم الانبياء والرسل الذين ساروا من قبل رسولنا على طريق الهجرة ، فهذا رسول الله تعالى موسى عليه السلام قد هاجر بقومه من مصر إلى أرض سيناء ، بعد ان تسلط عليهم فرعون وقومه ، وهذا رسول الله عيسى عليه السلام هاجر إلى فلسطين من مصر ومن قبلهم خليل الله تعالى إبراهيم الذي تعددت منه الهجرات . فالهجرة سنة الله تعالى على درب الرسالات .

ولقد اراد اهل مكة بعد الفتح ان يظفروا بها مثل اخوانهم السابقين إلى الاسلام ، لانهم ادركوا عظمة هذا العمل وهذه العبادة : ولكن نظرا لان فاعلية الهجرة بعد الفتح لا اثر لها اغلق الرسول الكريم هذا الباب خصوصا وان مكة اصبحت دار إسلام فقال صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح وإنما جهاد ونية » .

هجرة الرسول الى الطائف وآثارها في الدعوة

يحدثنا التاريخ الاسلامي انه في السنة السادسة او السابعة من الدعوة ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بأول هجراته وكان مقصده الطائف لعله يجد من يقبل الدعوة من اهلها وينضموا الى صفوف المسلمين ويكثر بهم الاسلام .. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كاد يتمثل بين يدي اهل الطائف حتى ردوه وسلطوا عليه الصبيان والعبيد . ولم يجد من بينهم من يتقبل الدعوة او يقبلها .

وهنا نسأل انفسنا ما الذي جاءت به هذه الهجرة من فائدة للاسلام ؟ وما الذي اظهرته هذه الهجرة من شخصية الرسول كانسان ورسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

والجواب عن ذلك : هو ان النظرة البسيطة قد تدرك من هذه وقد لا تدرك ولكن مثل هذا الامر لا يمكن ان يقف عنده النظر العلمي وخصوصا النظر الذي ينفذ إلى عمق الامور ويدرك منها الثمار البعيدة ، والحقائق الثابتة الغير مدركة من كثير من الناس .

وان اهم ما يدركه النظر العلمي من هذه الهجرة هو تهيئة الاذهان لاهل الطائف إلى الدين الجديد والدعوة الجديدة : خصوصا إذا علمنا ان مثل هذا الامر لا يمكن يمر عابرا دون ان يخلف وراءه اثارا قد

تكون بعيدة مهملة في اول امرها ولكنها لا تلبث ان تتأصل فيه ويشغل جانبا من جوانب التفكير فيه : خصوصا إذا علمنا ان اليهود كانوا يتخذون من الطائف مقرا لهم كما كانوا يتخذون من يثرب مقرا لهم ، وعندهم من اخبار الرسول في كتبهم ما يجعلهم يفكرون بعد في هذا الامر . فان كان اهل الطائف العرب لم يأبهوا بهذه الدعوة ، فان اليهود في الطائف قد اهتموا بها ، ولكن لم يحملهم هذا الاهتمام على ان يحيكوا مؤامراتهم حول هذه الرسالة لعلمهم كما هو موجود في كتبهم ان الطائف لم تذكر في توارة موسى ولا انجيل عيسى انها بلد رسالة او بلد هجرة لرسالة .

وعلى ذلك تكون الهجرة الاولى الى الطائف قد شغلت اذهان اليهود وهم يمثلون على اقل ثلث اهل الطائف يومها .

واذا نظرنا من جانب اخر للدعوة وهل تحقق منها شيء في هذه الهجرة ؟ نرى ان الدعوة بهذه الهجرة قد بلغت اقصى الشمال وقد استجاب لها ممثل من هذه القرية ، والقرية هذه هي بلد يونس بن متى الذي شهد له الرسول الكريم بالصلاح ، فان التاريخ يحدثنا انه لما لجأ الرسول الكريم الى البستان ليختفي فيه من عبيد الطائف ومن صبيان القوم التقى بغلام وقدم له الغلام العنب وراقبه فاذا بالرسول يبدأ الاكل بـ بسم الله الرحمن الرحيم ثم يختتم الاكل بالحمد لله رب العالمين . ويسأله الغلام ما سمعت مثل هذا في هذه البلاد فمن هو الرحمن الرحيم ؟ فشرح له الرسول صفة الرحمة وأرشده إلى صاحبها ، فأسلم الغلام وسأله الرسول من أي البلاد أنت ؟ قال : من قرية كذا . فقال الرسول : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . فقال الغلام : أتعرفه . قال : هو أخي .

اما من ناحية اظهار ما للرسول الكريم صلوات الله تعالى عليه من صفات تجلت فيها عظمته الانسانية في خلق محمد صلى الله عليه وسلم .

فاننا ندرك ذلك من هبوط جبريل على الرسول الكريم وهو في البستان ومع جبريل الامين ملك الجبال وقول جبريل له : إن ربك قد سمع مقالة قومك لك وإنه سبحانه وتعالى قد أرسل ملك الجبال فمره فليصنع بقومك ما شئت . فاذا بالرسول الجريح الذي لا زالت دماؤه الشريفة تنساب منه على الأرض من تلك الاصابات والذي أصبح في نظر العقل البشري كأنه مغلوب على امره بصد الناس له في مكة والطائف بقوله : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعملون » وهنا نجد أن الوحي جبريل عليه الصلاة والسلام يعجب من الانسان الرسول الذي فطر على أعلى صفات الانسانية والرسالة ، ويقول له : صدق من سماك الرءوف الرحيم . وكانت آية في خاتمة سورة التوبة تقول : **(لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) .**

١٢٨/التوبة .

لقد اظهرت هذه الهجرة بعض صفات الرسول الا وهي الرأفة والرحمة والحرص على الامة من ان تصاب بمثل ما أصيبت به الأمم السابقة التي كذبت رسلها .

إن نوحا عليه السلام لما ضاق ذرعا بقومه ، ورأى وعد الله له بالنصر ، ووضع الله في يده قوة ـ ألا وهي إجابة دعوته في قومه ـ لم يقل مثل ما قال محمد صلى الله عليه وسلم ـ حين وضعت القوة السماوية في يده (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) . بل قال نوح : **(رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا)** . ٢٦,٢٧/ نوح .

إن محمدا لو لم يكن رسولا بالوحي لكان بانسانيته رسولا وهاديا وسراجا منيرا .

الهجرة الى المدينة وتكوين الدولة الاسلامية .

وننتقل بعد ذلك بالحديث عن الهجرة إلى المدينة : وفي الهجرة إلى المدينة مواقف تحتاج إلى الدرس والتحليل لنتبين شخصية الرسول اولا ، ونتبين قيمة الهجرة إلى المدينة في الدعوة وفي بناء الامة .

يحدثنا التاريخ الاسلامي ان الرسول الكريم منذ ان صده المشركون ، واخذوا يترصدون له ويفتنون اتباعه ، سار عليه الصلاة والسلام إلى اتخاذ طريقة أخرى في الدعوة ـ وهي أنه كان يعرض نفسه على الحجيج في موسم الحج يبلغهم الدعوة ، ويدعوهم إلى الله وحده لا شريك له ، وفي السنة الثانية عشرة والثالثة عشرة جاءت اولى ثمار تلك الخطة بما يستبشر به الرسول الكريم من ان جوانب من الارض تتفتح ابوابها للدعوة وتتقبلها ، بل وتؤمن بها ، مما جعل الرسول الكريم يسير فيها حسب تخطيط بلغ غاية الحكمة والتحفظ ، ولم يكن تلقائيا ولا هو مرهون بالمصادفة ، ذلك لان من وراء الرسول اعداء قد اشتد الحذر منهم وتضاعفت اهتماماتهم وسهرهم ومراقبتهم لمحمد وتحركاته ـ ومن كان في هذا الموقف لا يمكن ان يصدر عن تلقائية او مصادفة بل لا بد من الحذر والحيطة والتخطيط والاحكام لأمور اهمها تعمية القوم عن أن يكشفوا لقاءاته ـ وأكبر منه ألا يبعث عند المشركين زيادة الاهتمام : لان زيادة الاهتمام به قد تعوق من سير الدعوة والجهاد فيها .

ويحدثنا التاريخ عن اول لقاء تم فيه إسلام ومبايعة ، وهو ذلك الذي حدث في العام الثاني عشرة للدعوة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفر من يثرب في موسم الحج ، فلقد عرض الرسول عليهم الدعوة فأسلموا عن اقتناع منهم وفهم ، وفوق هذا عن إرادة سابقة من الله لهم بالتوفيق والهداية ، وهنا وفي هذا اللقاء لا

يفوتنا ان نتبين في رسولنا مباشرته للتخطيط والحرص وعمق الفهم لواقع الحياة . تراه عليه الصلاة والسلام يضع من التعليمات ما يكفل سلامة هذا النفر من الفتنة والاهانـــة من قريش ثانيا ، وحتى لا تدرك قريش ان خطة العرض قد جاءت بنتيجـــة في صلاح الاسلام والدعـــوة ، فدعـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النفر إلى كتمان إسلامهـــم وعـــدم إظهاره حتى يعودوا الى يثرب وهناك فليظهروه متى شاءوا ــ ومن ناحية اخرى فلقد وقف الرسول الكريم على احوال يثرب كلها وكان عليه الصلاة والسلام يقوم بتقييم كل ناحية ويضع لها تقديراتها ، ومن هذا أنه عليه الصلاة والسلام قيم الناحية الدينية هناك فوجد أن يثرب تضـــم بـــين جوانبها ملك مختلف ، فمن وثنيـــة يدين بهـــا الأوس والخـــزرج ، الى يهودية يدين بها بنو النضير وبنـــو قينقاع وغيرهم ، ولم يكن هناك اية حرب قائمة بين الفريقين ، ولا صد من فريق لاخر من ان يباشر عبادته وأن يدعو إلى دينه ، وإلا لو كانت الحال في يثرب مثلمـــا هي في مكة لامرهـــم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتمان الاسلام وألا يخرجوا به من بيوتهم .

وفي السنة الثالثة عشرة من الدعوة وفي موسم الحج خطط الرسول صلى الله عليه وسلم للقاء وفد يثرب وقد يكون التخطيط في نظرنا لا يحتاج إلى مبالغة وإحكام خصوصا . وأننا قد علمنا من التاريخ ان اللقاء الآول فيه إسلام ومبايعة .

ولكن الواقع ان هذا اللقاء احتاج إلى تعميق أكثر في التخطيط والتحفظ والكتمان والسرية ، فما كان احـــد يعرف به حتى من اتباع الرسول ولا من أقرب التابعين له ، وأخذ الرسول الكريم قبل لقائه بالوفد اليثربي يعمل النظر والبحث فيمن يكون معه من اهل مكة في هذا اللقاء حتى تم له بعد طول الفحص والدرس والتقييم فركن إلى العباس بن عبد المطلـــب وكان العباس يومها على دين الشرك ، لكنه كان الرجل اللائق بهذا الأمر في نظر الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولقد صدق فيه نظر الرسول فكان الأمين حقا على سر هذا اللقاء ، وإذا تركنا هذا إلى اختيار وقت اللقاء ومكانه نجد أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد حدد الوقت بحساب وتقييم ، وهو طرف من الليل لا يقع في حسبان وتقدير المشركين ومكان من البطحاء ايضا لم يقع في حســـاب وتقديـــر المشركين . وهنا نجد أن الأمر قد صار لصالح الدعوة وأن اللقاء تم ، وتم فيه كل ما يكون من شروط اخذ فيها الرسول واعطى ، وحتى تكلم العباس بما يوحي للقوم ان الرسول ليس بالهين عند قومه ، ولا هو بالذي لا يجد منعة ومؤازرة من أهله ، مما جعل الرسول في نظر أهل يثرب هو أغلى هدية سارت إليهم ، وأكبر فضل من الله أصابهم .

وإذا نظرنا إلى البيعة الأولى نجد أن عدد المتبايعين مع الرسول كان لا

يزيد عن ثلاثة عشر رجلا وفي الثانية بلغ السبعين ، أي أنه في سنة واحدة كانت النتيجة في صالح الاسلام أكبر من ثلاث سنوات للدعوة في مكة ، مما جعل الرسول يستبشر بالعهد الجديد الذي انتقلت إليه الدعوة الكريمة .

وفي هذه السنة كان الحال عند المشركين على أشده من التفكير في الخلاص من الداعي إلى الاسلام ، خصوصا وأن أقصى ما وصلوا اليه من الفتنة لم يأت بما كانوا يريدون ـ فالمهادنة التي عرضوها على الرسول ـ لم تأت بما كانوا يريدون ـ والمقاطعة لبني هاشم ومعهم محمد والمسلمون ثلاث سنوات لم تأت بما كانوا يريدون ، والصد والتعذيب والترصد للدعوة لم يأت بما كانوا يريدون ، وتألب الناس على رسول الله وعلى أتباعه لم يأت بما كانوا يريدون . اتفق ناديهم المنكر على الخلاص من الرسول وهداهم شيطانهم إلى قتل الرسول بالصورة المعروضة في كتب التاريخ .

ومما استقرأه الرسول الكريم في قريش واهل مكة هذا واطلعه الله تعالى عليه ، كان التخطيط للهجرة والخروج منها وخصوصا وقد عرف المشركون أن الدار الثانية للاسلام قد تهيأت وأصبحت في انتظار انتقال الرسول إليها ، ولو ان خبر هذا الأمر كان بين الشك واليقين من أهل مكة لأنهم لم يطلعوا على هجرة لواحد من اتباع الرسول حتى جاء يوم هجرة عمر بن الخطاب الذي تحدى القوم وهاجر على مرأى ومسمع منهم جميعا .

وفي ليلة المؤامرة والترصد بباب الرسول من القتلة الآثمين وهذه الليلة كانت في حساب المشركين هي اول خطوة في التخطيط للهجرة من محمد ولكنها كانت هي اللمسات الاخيرة عند الرسول لهذه الهجرة ، فالتخطيط تم من حيث اختيار الظرف المناسب والساعة التي يخرج فيها الرسول ، والخلافة قد تم تخطيطها عند الرسول فاختار لها الرسول الكريم عليا والدار الأولى التي هي على طريق الهجرة قد وضع لها التخطيط ، وعمل كل من في هذه الدار قد وضع له خط السير الذي يلتزم به صغيرا كان ام كبيرا والسرية التامة من كل من جندهم الرسول في هذا ـ قد كان على اعلى درجة حتى ولو تعرض الواحد منهم إلى العذاب الشديد او الموت .

أما من جهة الساعة والظرف الذي يخرج فيه الرسول من بيته فهو في الثلث الأول من الليل والساعة الوسطى من هذا الظرف ، حتى يكون النوم قد سرى إلى عيون المتربصين ، ومما يساعد على ذلك تركيز انتباههم على النائم داخل البيت ونحن نعلم انه مما يساعد على جلب النوم تركيز الانتباه وعدم التنقل به . هذا إذا اضيف اليه عمل الله تعالى لحماية رسوله الكريم والعناية به ـ وأما الدار فهي دار الصديق مما اختارها الرسول لأن تكون المحط الأول ،

وهذه ايضا في التخطيط لها شأن كبير ، ذلك لأن خروج الرسول الكريم إلى تلك الدار لو حدث وقد رآه إنسان فلا يظن أن هناك هجرة ، لأنه كثيرا ما كان الرسول الكريم يتردد عليها – وهي دار أول رجل في الاســلام – وأما التخطيط داخل الدار فهناك عمل (لأسماء بنت ابي بكر) وهناك عمل (لمحمد بن أبي بكر) وهناك عمل (لخادم أبي بكر) .

وكل قد التزم بما رسمه له الرسول الكريم – فأسماء التزمت بالتحفـظ على أمر الهجرة داخل البيت وتعمية المشركين – وقد قامت به خير قيام حتى ذهبت بهذا اللقب الذي لازمها فخرا وإعجابا (وهو ذات النطاقين – ومحمد بن أبي بكر التزم بايصال الزاد إلى الرسول الكريم وصحبه في الغار ، ورصد تحـركات المشركين ونقل كل حركة وخبر اولا بأول إلى الرسول في الغار .

والخادم التزم بتغطية الآثار لسـير محمد بن ابي بكر .

وكان من نتيجة هذا التخطيـط والاحكام ان كان القوم على رأس الغار بسيوفهم يلتمسون الرســول والرسول وصحبه يرون القــوم من داخل الغار ولكن القوم لم يدركوا شيئا يدل على الرســول وصحبــه – حتى أن أبا بكر من شدة ما وقف عليه من هذا الأمر ومن إعجابه بما خططه الرسول قال : يا رسول الله لو نظر احدهم تحت قدمه لرآنا فقال له الرسول الكريم : « ما تقول في اثنين الله ثالثهما » ورجع المشركون ولــم يدركوا شيئا .

ووصل الرسول وصحبه الى دار الهجرة الى يثرب حيث كان الأوس والخزرج جميعا في استقبالهما وهنا يبدأ البناء والتأليف ووضع قواعد البناء الأصيل للأمة الجديدة ، التي اتسعت قاعدتها بكثرة اتباعها من الأوس والخزرج – ولو أن اليهود قد انحازوا بعيدا في حصونهــم ولــم يستجيبوا للدعوة .

وننتقل إلى أول عمل وأول قاعدة وضعها الرسول الكريم في بناء الأمة الجديدة ، كانت هذه القاعدة هو أن الرسول الكريم كان يدرك ما للعصبية والمناصرة في ظلال الجاهلية من أثر سيء ، فأذاب ما بين الأوس والخزرج بواسطة ذلك الشعار الذي اطلق عليه فتوحدت به جبهة اليثربيين وضاعت تلك النعرات القديمة وهــي (أوسى وخزرجي) وصار الكل تحــت هذا الشعار الجديد وهو (أنصاري) .

وبهذا استطاع الرسول الكريم ان يقضي على الماضي البغيض وان يذيب كل الجاهلية في نفوسهم فكان الواحد منهم لا يذكر لنفسه من فخر الا كلمة انصاري ولا يسأل هل هو خزرجي أم اوسي . وكان هذا في نظر اليهود هو اكبر عمل وأكبر حصن ادخل الرسول فيه الاوس والخزرج – فــلا تذكر للماضي ولا تذكر للعداوات ولا فاعلية للنعرات و العصبيات القديمة ، حتى انه في يوم قام رجل من اليهود في السوق والانصار مجتمعون وذكر يوم بعاث وهــو يوم حرب كان لأحــد الفريقين الانتصار على الآخر وركن

الناس إلى شيطانهم واستلوا سيوفهم ، وما كاد الخبر يصل إلى الرسول الكريم حتى حضر إلى السوق على جواد غير مسرج ، وقال : يا أتباع محمد ـ أهذا يكون وأنا بين يديكم ، فبكى كل من الفريقين وألقوا بسيوفهم وفاءوا إلى الصواب ، ورجع اليهودي بالخزي والعار ، ولم يدرك شيئا من الوقيعة .

وهذا العمل الجليل الذي قام به الرسول الكريم في توحيد جبهة الأوسيين وإذابة الفوارق والنعرات القديمة ـ قيم أيضا من الله تعالى ونزل قول الله : يذكر فضله على الناس ، وفضل رسوله صلى الله عليه وسلم ويدعوهم الله سبحانه وتعالى إلى المحافظة على هذا الاتحاد والمناصرة له حيث يقول تعالى : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)** آل عمران/١٠٣ . والمعنى فألف بين قلوبكم بهجرة محمد صلى الله عليه وسلم إليكم وتسميته لكن بالانصار تلك التسمية التي ضاعت في ظلالها الوارفة كل عداوة وبغضاء ـ وحل فيها كل حب وتقدير وألفة واتحاد ـ .

واما القاعدة الثانية التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء الامة فهي المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، وفي ظلال المؤاخاة ضاعت كل ادراكات ومفارقات بين صاحب البلد وبين المهاجر وفي ظلال المؤاخاة ايضا ضعفت كل دسيسة وفتنة قام بها اليهود للتفرقة بين الصف الواحد .

اما الدعامة الثالثة فهي بناء المسجد ـ واذا كانت الوحدة بين الأوس والخزرج وإذا كانت المؤاخاة بين الانصار والمهاجرين لهما فاعليتهما في توحيد الصف الاسلامي فان المسجد له أكبر الأثر ايضا في بناء الأمة ، ففي المسجد تقام شعائر الدين ، وهو مركز الاشعاع للدعوة ، ومركز تجميع المسلمين وهو عامل هام من بين عوامل اتحاد الصف الاسلامي واظهار قوته وكيانه ، خصوصا ، إذا وضعنا في حسباننا ان الصلوات كانت مقامة في حصون اليهود ـ وإن وضعنا في تقديرنا ان الاذان قد سن بعد بناء المسجد مباشرة . ندرك اهمية بناء المسجد في تلك الآونة ومدى فاعليته في بناء الأمة .

اما الدعامة الرابعة التي جعلت للصف الاسلامي صفة الدولة والاجتماعية حتى باشرت بواسطته تخطيطها السياسي والتعرف على مدى ما يكون من ارتباطات دولية في ذلك ما قام به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من معاهدات في الجبهة الداخلية لتأمين التحرك الاسلامي وانطلاقه الى آفاق بعيدة جاءت ثمرتها التي بهرت العالم كله .

سبحان الذي خلق الأزواج كلها

ومن الأمشاج أزواجا أزواجا

٤

نكرنا في ثلاث دراسات علمية سابقة بعض ما يمكن أن تنطوي عليه آية ، أو جزء من آية من عطاء علمي غير محدود ، ولقد رأينا في هذه الدراسات كيف كانت بدايات الخلق أزواجا أزواجا ، أو بتعبير القرآن الكريم : (**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) الذاريات/٤٩ .. فجاءت الجسيمات أزواجا أزواجا ، والأكوان أزواجا أزواجا ، والخلايا أزواجا أزواجا ، ولازالت الآيات العظيمة التى وردت في هذا الكتاب المجيد تؤيد كل الاكتشافات العلمية الحديثة ، تلك الاكتشافات التى توضح لنا أن الخلق قد قام على فكرة الزوجين .. ما نعلم منه ، وما لا نعلم ، وهو ما أشارت اليه الآية الكريمة : (**سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) يس/٣٦ .

ولقد تساءلنا في آخر مقال لنا على صفحات هذه المجلة الغراء ، تساءلنا وقلنا : اذا كانت الخلايا الجنسية في

النطفة التى هى من (منى يمنى) قد جاءت أزواجا أزواجا ، وأن منها إناثا وذكرانا ، اذا كانت هى كذلك حقا ، وكما أيدتها العلوم الحديثة ، وكما أشار اليها القرآن الكريم تلميحا منذ حوالي ١٤ قرنا ، فهل هى بدورها ـ أى الخلايا ـ قد حوت في مكوناتها أزواجا من داخل أزواج ؟.. وما هى طبيعة تلك الأزواج ؟

إنها ـ أى الأزواج ـ مما لا يعلم الناس ، لأن مجالها الحقيقى يبرز ويتجلى في معامل العلماء ، ومع أن العلماء قد اكتشفوا هذه الأزواج التى من داخل الأزواج منذ حوالي مائة عام ، أو يزيد ، مع ذلك ، فانهم لا يزالون ينهلون من بحورها العميقة ، ورغم ذلك لم يحصلوا من أسرارها الا على القليل ويبقى الكثير ... « مما لا يعلمون » .. لكن ، كلما بحثنا وعلمنا وجمعنا ، تجلت لنا قدرة الله العظيمة بغير حدود ، وعندئذ نردد عن علم وخشوع :(**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر/٤٩ .

دعنا إذن نعود الى الأزواج على مستوى مكونات الخلايا ، لنعلم منها كيف أوحى الله في كل خلية أمرها ، كما أوحى في كل سماء أمرها .

في سورة الانسان ، تجيء الآية الثانية بقول جميل يحتوى على أصول علمية لا تدرك الا من خلال التعمق في أصول الأشياء .. يقول الله تبارك وتعالى في تلك الآية الكريمة : (**إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا**) الانسان/٢ .

والنطفة هنا هى ماء الرجل أو منيه ، والأمشاج ـ كما جاءت في كتب التفاسير تعنى الأخلاط ، أو ما خلط بين الرجل والمرأة .. يقال : مشج يمشجه مشجا ، أى خلطه خلطا .

وهذا صحيح تماما ، لكن الخلط فيه ظاهر وباطن ، ولن يتجلى لنا الباطن الا تحت عدسات المجاهر ، وعندئذ نرى الأمشاج وهى تمر بمراحل ، كل مرحلة منها قد قدرت تقديرا ، وكأنما نحن نشهد تمثيلية الحياة في أدق وأروع صورها ، فهى بعد قليل ستعبر عن نفسها ، والتعبير سوف يتجسد في مخلوق قادم ، وهو أعظم حدث يتم في هذا الكوكب ، أو ربما في هذا الركن من الكون العظيم الذي نعيش فيه ، ثم لا نعرف عنه الا نزرا يسيرا ، هذا رغم أن ما جمعناه يبدو أمام عيوننا كبيرا ، وفي عقولنا عظيما !

ان خلق الأزواج في النطفة على هيئة حيوانات منوية نكرية وأخرى

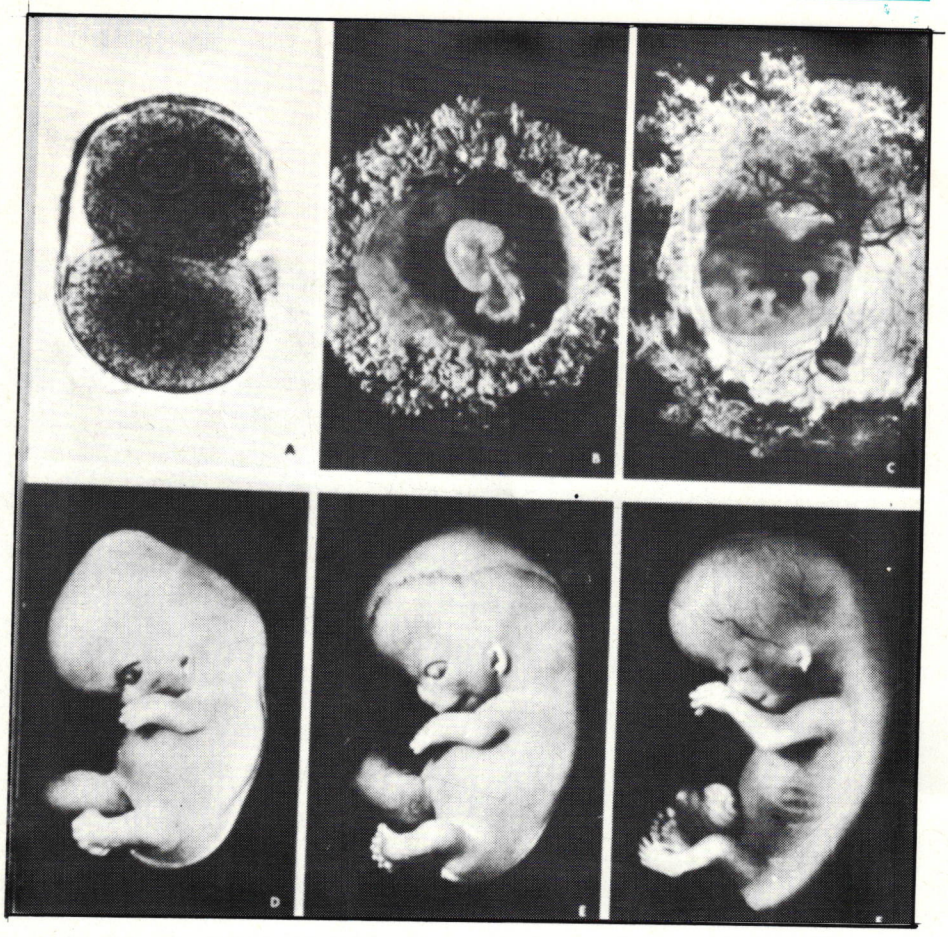

« هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا » والصورة تبين مراحل تطور الجنين بداية من الخلية التي تراها وقد اصبحت اثنتين (الى اليسار فوق) .

أنثوية ، وبنسبة متساوية تماما ، ثم التحام أو خلط المكونات الوراثية لحيوان منوى مع المكونات الوراثية لبويضة ليس أمرا عشوائيا ، ولا عملية سهلة كهذا الكلام ، بل إن دراسة هذه الظاهرة المثيرة قد استنفدت من عمر العلماء أعواما تلو أعوام ، ولقد تجلت لهم وحدة الفكرة في المخلوقات جميعا ، بداية من الميكروب حتى النبات والحيوان والانسان ، وفيها تنفصل الأزواج لتكون فرادى ، ثم يحدث الخلط في الأمشاج (وهى هنا الوحدات التي تختلط والتي نعرفها علميا باسم الكروموسومات أو الصبغيات) لتصبح أزواجا أزواجا .

ولكى نوضح ، دعنا نتعرض

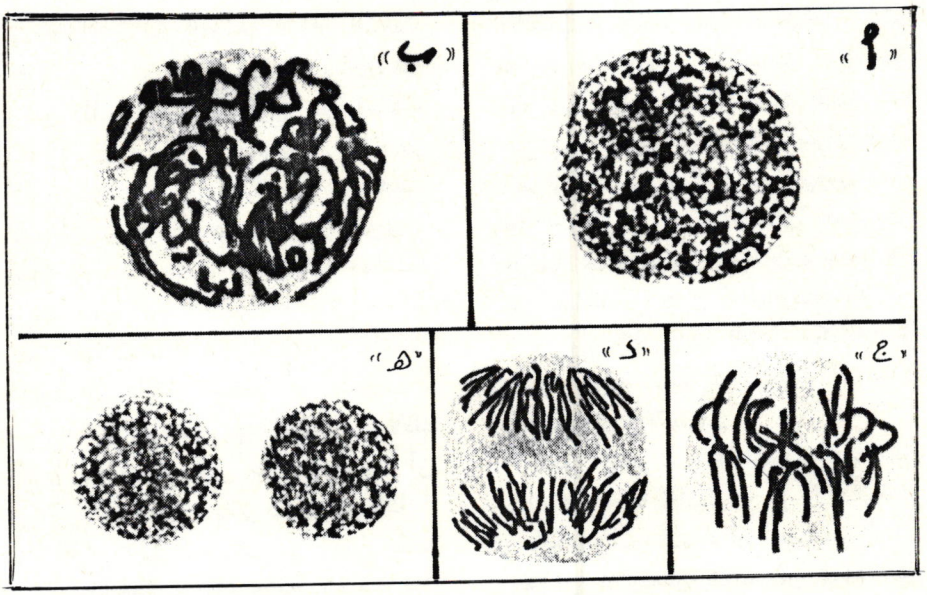

شكل (١)
الوحدة في الخلق قائمة بين نبات وحيوان وانسان .. وفي الصور المنشورة هنا تظهر عملية الانقسام او التكاثر في خلية نباتية ، لاحظ ان الامشاج في البداية غير واضحة في النواة(أ) ، ثم انه عند بداية الانقسام تبدأ في الافصاح عن نفسها (ب) ، ثم تتحدد شخصياتها ، ويعطي كل زوج من نفسه زوجا (اي يتضاعف عدد الامشاج (جـ) ، ثم يرحل كل نصف الى قطبي الخلية (د) ، فتأتي كل خلية جديدة بنفس عدد الامشاج التي كانت تحتويها الخلية الام ، وفي النهاية تختفي الامشاج (هـ) في نواتين جديدتين ، وعلى مثل هذا الطريق تسير الخلايا في كل الكائنات ومن كل شيء فيها زوجان !

لجوهر الأزواج في الانسان ، وما يجرى على الانسان ، يجرى على الميكروب والنبات والحيوان ، فالكل من عند الله ، **(ولن تجد لسنة الله تبديلا)** الأحزاب/٦٢ ، بل هى وحدة في الخلق واحدة !

في الانسان ملايين الملايين من الخلايا الجسدية (حوالي ٦٠ مليون مليون خلية) ، ونشأتها جميعا جاءت من خلية وحيدة ملقحة ، هى البويضة في رحم أنثى ، ولقد اختلطت أو تلقحت أو امتزجت بحيوان منوى واحد ، فيصير منها الذكر أو الأنثى ، مصداقا لقوله تعالى : **(وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى)** النجم/٤٥ ـ ٤٦ ، ولقد ترك لنا القرآن هنا حرية الاختيار ، كل على قدر ما علم ، فان كان القصد من الآية الكريمة هو الزوجين اللذين

نراهما رؤية العين : أى الذكر والأنثى ، أو الرجل والمرأة ، فان من رأى ذلك ، ليس بخارج على أحكام القرآن ، وان كان القصد من الآية هو الزوجين الكائنين في النطفة على هيئة حيوان منوى نكرى ، وآخر أنثوى ، فان له ما أدرك ، لأن الآية مناسبة وصحيحة أيضا في هذا المجال ، وإن نظر نظرة شاملة جامعة ، وأخذ المعنيين ، لكان أيضا على صواب ، وهذا عطاء سخى جدا للقرآن ، لأنك تنهل منه على قدر ما تعلم .. أن ظاهرا فظاهرا ، وان باطنا فباطنا !

اذا عدنا للجسد ، وأخذنا منه خلية واحدة .. أية خلية تشاء ، من أى عضو أو نسيج تشاء « عدا كرات الدم الحمراء » فانك لا شك واجد لها قيادة أو هيئة حاكمة حكيمة – هى النواة ، أو « كتاب » الخلية المكتوب بعناصر هذه الأرض ، والتي عبر عنها القرآن الكريم أوجز تعبير بقوله : **(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا)** فاطر/١١ .. وقوله : **(هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا)** غافر/٦٧ .

لكن لا الخلية ولا النواة بظاهرة للبصر ، لأنهما فيما وراء حدود عيوننا ، ولكى نراهما ، فلابد أن نستعين بعين أخرى تتمثل في « عين » المجهر الذى يكبر الأشياء مئات وآلاف المرات ، وبهذا المجهر نستطيع أن نكتشف أمورا مثيرة وعظيمة ، وكثيرا ما تضن مكونات الخلية على الألباب ، وتغم على الأفهام ، لكن بمزيد من الصبر والبحث والتعمق توصلنا الى أمور ما كانت لتطرأ لنا على بال ، ومع ذلك فقد أشار اليها القرآن الكريم اشارة عابرة يعيها أهل هذا الزمان .. هذه الاشارة تلمح بأن الخلق جاء زوجين زوجين **(ومن كل شئ خلقنا زوجين)** الذاريات/٤٩ ، حتى ولو كان هذا الشئ مكونات في داخل نواة خلية في عالم النبات والحيوان والانسان .

هذه المكونات قد أشرنا اليها قبل ذلك على أنها الأمشاج أو الأخلاط أو « الكرموسومات » أو الصبغيات ، وهذان الاسمان الاخيران جاءا من كون مكونات النواة تصطبغ أكثر من غيرها بالاصباغ ، فتتجلى لنا بعض تفاصيلها الدقيقة .

على انك لو اطلعت على الصور المنشورة هنا لوجدت أن الخلية ما بين انقسام ونمو ، أو نشاط وتوقف (توقف نسبي) ، انما تمر بأطوار عدة ، وطبيعى أننا لن نتعرض هنا لتفاصيل الفكرة التى أودعها الله في « مخ » الخلية أو نواتها ، لكن يكفي أن نشير فقط الى أن الأمشاج أو الكروموسومات تنتشر في النواة دون تحديد « لشخصياتها » ، أو كأنما هى تختلط وتمتزج دون أن تنم عن وجود « أزواج » يمكن التعرف عليها ، لكن الأزواج تظهر فقط في حالة توالد الخلية ، وانتاج أجيال أو نسخ منها ، وهو ما نطلق عليه اسم عملية الانقسام والتكاثر (شكل ١) .

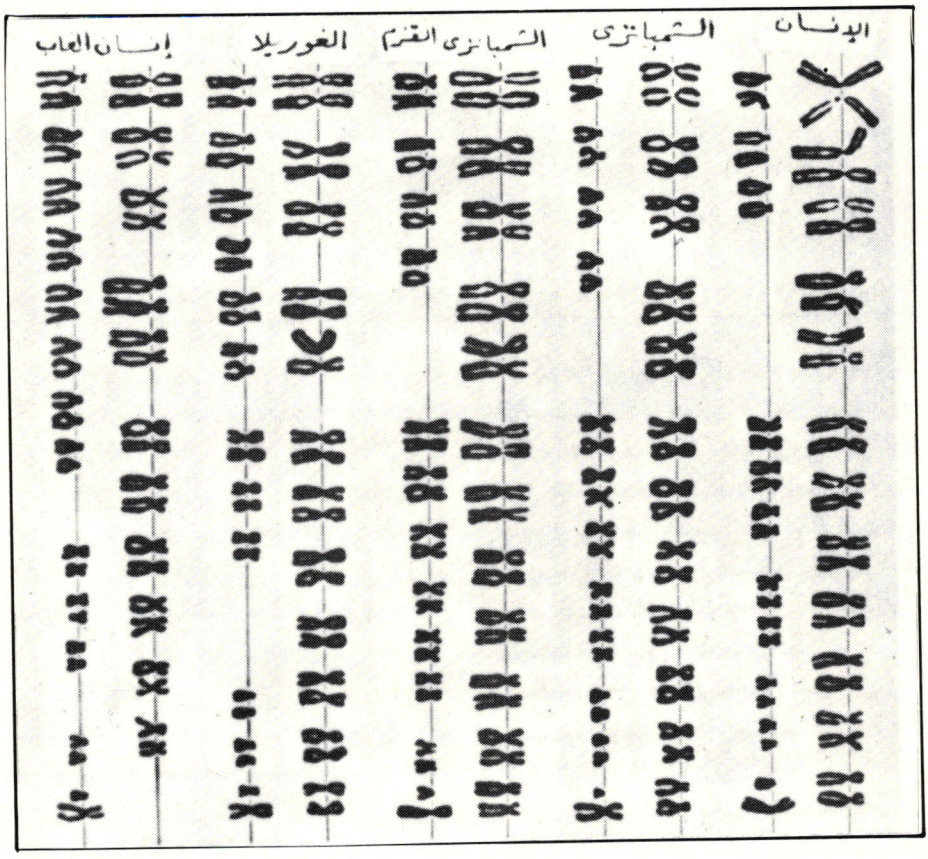

شكل (٢)
وحدة الخلق تتجلى في الامشاج او الكروموسومات التي اصبحت القاسم المشترك الاعظم بين جميع الكائنات .. انها هنا ازواج متشابهة ، عدا الزوج الاخير فأحدهما اكبر من صاحبه ، انهما مشيج الانثى ومشيج الذكر (x ، y) .
لاحظ ان للانسان ٢٣ زوجا بما في ذلك زوج الذكورة والانوثة .

فبداية الخلية الملقحة في الانسان توضح لنا فكرة الزوجين التي أشار اليها الله في القرآن ، ففيها أو في أية خلية تنشأ منها ، يوجد اثنان وعشرون زوجا من الكروموسومات أو الأمشاج ، هذا بالاضافة الى زوج آخر له في تحديد جنس المخلوق شأن يذكر .

أى أن ما تحتويه نواة خلية الانسان هو بالضبط ٤٦ كروموسوما أو مشيجا .. ولقد جاءت أزواجا أزواجا .. كل زوجين متشابهان تماما ، أو قل إن احدهما نسخة طبق

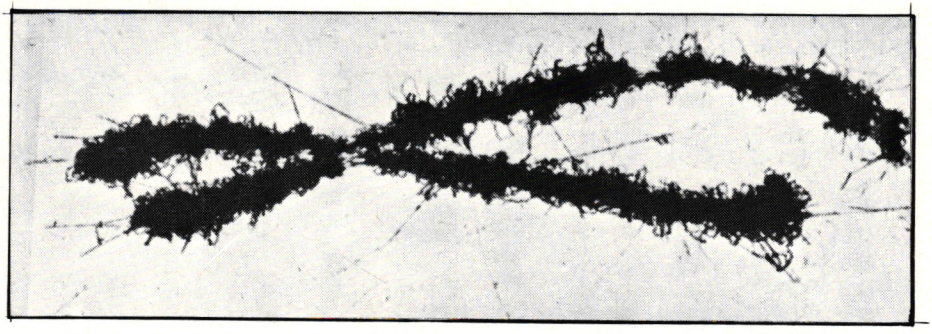

شكل (٣)
امشاج من داخل امشاج ، ولقد جاءت بدورها ازواجا ، لكن الامشاج الاصغر التي في داخل الامشاج الاكبر قد تحولت الى ظاهر ، ولكي نطلع على باطنها ، او على هذه الاشرطة المبعثرة حولها ، فلا بد من تكبير اكبر (الصورة لاحد الامشاج في الانسان) .

الأصل من « أخيه » ، عدا الزوجين اللذين يحددان جنس الانسان ، اذ كان لاختلافهما أن جاء الذكر مختلفا عن الأنثى ، ودعك انن من المنادين بالمساواة بين هذا وتلك في كل أمر من أمور الحياة ، لأن هذا يخالف شريعة الله ـ يخالفه في أسس الخلق ظاهرا وباطنا ، فالاختلاف حقا بين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) شـكل ٢) .

لكن اشارة القرآن الكريم:(**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) ، لا تقتصر فقط على ان الامشاج قد جاءت زوجين زوجـين ، بل إن كل مشيـــج أو كروموسوم من الستـة والاربعـين الموجودة في نواة كل خلية من خلايا الانســـان ، قد جاء بدوره ـ اي الكروموسوم ـ على هيئة زوج مترابط قرب منتصفه ، وكأنما ينطبق عليه ما جاء في جزء من الآية الكريمة:(**وجعل منهـا زوجهـا ليسـكن إليهـا**) الاعراف/ ١٨٩ صحيح أن هذه الآية تقصدنا ، لكن المعنى الكبـير نراه صالحا على ما في داخلنا من ازواج ظلت خافيـة على عيوننـا كل هذا الزمان ! (شكل ٣) .

والحكمة في خلق الزوجـين على مستوى الأمشاج لا تخفى على لبيب ، ذلك أنها في طور من أطوار انقسام الخلية ، تتقارب الأزواج المتشابهة أو المتناظرة بحيث يحتضن كل زوج « قرينه »، ليأخذ منه ، ويعطي له ، وكأنما صور الأزواج ـ في عالمنا المنظور ـ تتكرر هنا بصورة اكثر اثـارة على مستـوى الأمشـاج .. صحيح أن تقابل الذكر والأنثى في حالة الجماع هي عملية أخذ وعطاء ، وفيها تتقابـل الخلايـا الجنسيـة وتختلط ، ويذوب « الزوجان » ـ اي الخلية الذكرية والأنثوية ـ في كيان واحد ، وبحيث تصبـح الخليتـان

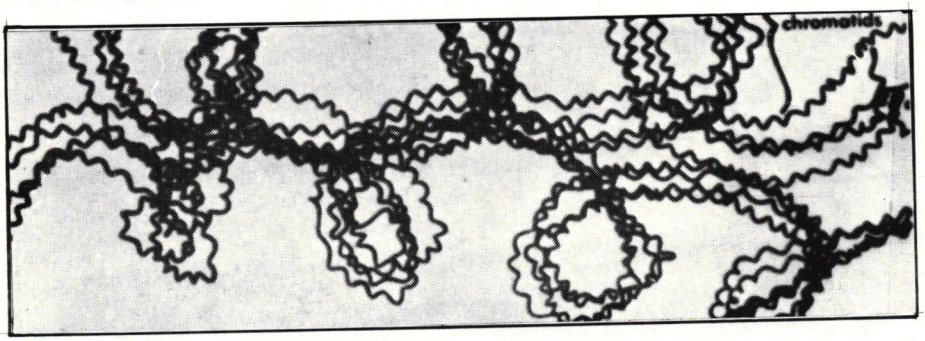

الشرائط كثيرة وطويلة وتدور وتلف ازواجا ازواجا ، لكن باطنها لايبين ، وعليك ان تتأمل في الصورة التالية (شكل٥) لترى ازواجا من داخل ازواج .

الجنسيتان خلية جسدية واحدة ، ومن هذه الخلية تنشأ كل خلايا المخلوق بعد ذلك .

وكذلك نرى تمثيلية الحياة الرائعة تتكرر على مستوى الأمشاج ، اذ يلتحم الزوجان منهما بعد الخلط والاخصاب ، فيبدوان وكأن الكيانين قد أصبحا كيانا واحدا ، او من كل زوجين زوجا واحدا ، فاذا نظرت الى الأمشاج التي تكون خلية الانسان في هذا الطور ، لرأيت ان الستة والأربعين زوجا قد أصبحت ثلاثة وعشرين زوجا ، اذ عندما عرف كل زوج زوجه ، ، وتقابل معه ، وسكن اليه ، والتحم به ، وتبادل معه المعلومات الوراثية ، انفصل عنه ، ليستعد لأمر جليل يتوقف عليه طوفان الحياة في كل المخلوقات (شكل ٤) .

لن نطيل عليك في هذه التفصيلات ، فليس هنا مجالها ، رغم أنها توضح لنا أن الله قدر فخلق فسوى ، وأنه اشار الى ذلك باقتضاب في آيات بينات: **(إنا كل شيء خلقناه بقدر)** القمر/٤٩ ، **(وخلق كل شيء فقدره تقديرا)** الفرقان/٢ وليس هناك ابداع أو اتقان واقتدار ونظام أروع مما نراه في بدايات خلق الكائنات ، وهو يحضنا على ذلك حضا ، ويشير الى ذلك في آية كريمة : **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)** العنكبوت/٢٠ .

على أنه توجد عمليتان هامتان جدا في فصل هذه الأزواج ثم اختلاطها على مستوى الأمشاج ، ولا بد أن تسير كل عملية سيرا منظما ودقيقا غاية الدقة ، لأن الخلل هنا لا يغتفر ، فأي خطأ ، يؤدي إلى مرض ، والمرض لا يمكن اصلاحه ، لأنه نشأ من خطأ الأمشاج ، فيؤدي الى عاهة أو عاهات وراثية يقف العلم أمامها حائرا ، لأننا لا نعلم الا القليل جدا من أسرار هذه الكروموسومات ، اذ أنها تحتوي على طوفان هائل من المعلومات ، ويكفي أن تعلم أن آلاف الصفات الوراثية التي تظهر في الكائنات ، انما هي تعبير لما تحويه

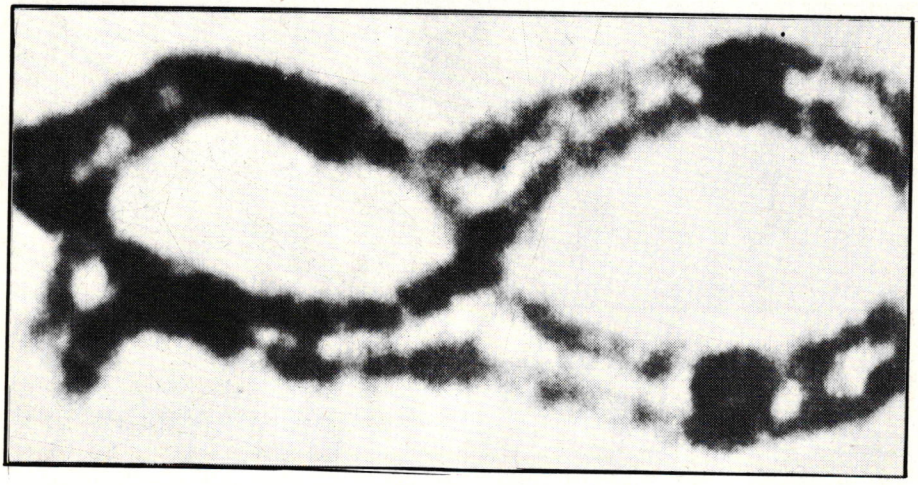

شكل (٤)
مشيجان او كروموسومان يتقابلان ويحتضن احدهما الاخر من مواقع حددت تحديدا ، وكأنما هذا لباس لذاك ، وهذا يحدث الاخذ والعطاء على مستوى الامشاج .

الأمشاج من مخطوطات ..

ذكرنا أن هناك عمليتين في فصل الأزواج أو جمعها ، فاما العمليـة الأولى فتبدأ في الغدد الجنسية ، وفيها تتم مسرحية الحياة في فصول أربعة متتالية ، وهذه لن نتعرض لها هنا ، انما يكفي ان نشير فقـط الى أن الحيوان المنوي يحمل نصف الأزواج من الأمشـــاج (أي ٢٣ كروموسوما) ، وأن البويضة تحمل أيضا نصف هذه الأزواج ، وعنـد التلقيح يذوب هذان الكيانان ، أو تتحد الخليتان ، لتصبحا خلية واحدة ملقحة ، وفيها تظهـر الأزواج مرة أخرى مكتملة (٢٣ زوجا ، أو ٤٦ كروموسوما ، نصفها من الحيوان المنـوي ، ونصفهـا الآخـــر من البويضة) ، وهنا تكون اشارة البدء لظهور مخلوق جديد قد حلت ، فيأتي ـ من البداية ـ حاملا صفات أبيه ، وصفات أمه ، ويخرج الى الحياة خلقا جديدا ، ليس كمثله شبيه (عدا التوائم المتماثلة) .

وأنت اذا تأملت وجوه النـاس وألوانهـم وأصواتهـم وبصماتهـم وطبائعهم ، فانك لن تجد واحدا يشبه الآخر شبها مطلقا ، حتى ولو استمر ورود بلايـــين البشر ، لبلايـــين السنين .. فكل واحد ملكوت قائـم بذاته حقا .

والحكمة في اختلاف الناس تكمن أساسا في اختلاط الزوجين أو الأزواج ـ ليس ذلك على مستـوى الـذكر والأنثى ، ولا على مستوى الحيوان المنوي والبويضة ، ولكن على مستوى الأزواج من الأمشـاج ، فالخلـط

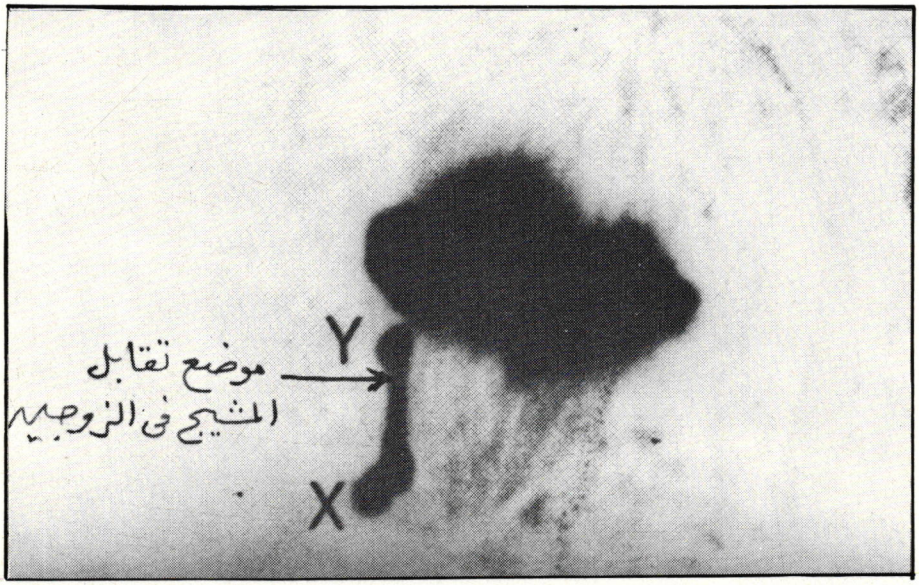

شكل (٥)
بداية خلية ملقحة لمخلوق نكر ، لاحظ ان مشيجي النكورة (y) والانوثة (×) يتقابلان لتبادل المعلومات الوراثية ، الا اننا لانستطيع ان نرى باطن المشيج ولابد من تكبير اعظم . (الصورة لقطاع في خلية تحت الميكروسكوب) .

الحقيقي والأساسي يحدث بينها ، وهي التي أشرنا اليها قبل ذلك ، وقلنا ان كل كروموسوم من خلية الذكر يعرف نظيره من خلية الأنثى ، فيسعى اليه ، وبجواره يسكن (شكل ٥) . ويحدث تبادل آلاف وملايين المعلومات الوراثية في آلاف وملايين المواقع ، ومن أجل هذا تحمل الأجيال القادمة ، صفات الأجيال الراحلة ، ولكن دون أن تتكرر كل الصفات الوراثية بين بلايين البلايين من البشر ولو مرة واحدة .. فكل قد جاء بصفات جديدة ومبتكرة ، واساس كل ذلك ورد في آية مقتضبة **(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج)** .. وفي هذه الأمشاج ـ وما يحدث بينها من اخلاط وتبادل معلومات ـ كتبت مجلدات فوق مجلدات ، لكن لا مجال لها هنا ، بل إن قصدنا فقط أن نبرز روعة خلق الأزواج كلها ـ بداية من أصغر كون الى أكبر كون ، ثم نترك الباقي لفلاسفة المسلمين وعلمائهم ، فربما أفادونا شيئا من علمهم .

والعملية الثانية تبدأ بانقسام الخلية الاولى الملقحة الى اثنتين فأربعة فثمانية ، فستة عشر ،

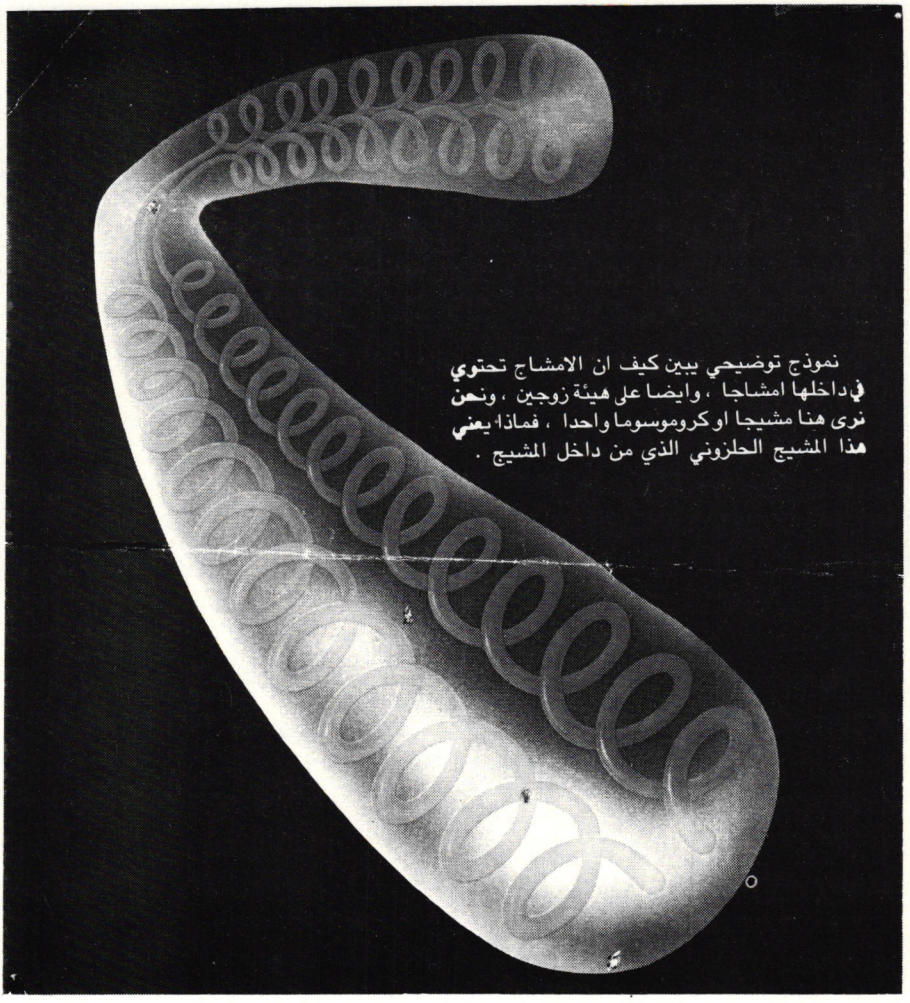

نموذج توضيحي يبين كيف ان الامشاج تحتوي في داخلها امشاجا ، وايضا على هيئة زوجين ، ونحن نرى هنا مشيجا او كروموسوما واحدا ، فماذا يعني هذا المشيج الحلزوني الذي من داخل المشيج .

فعشرات ، فمئات ، فآلاف ، فملايين وبلايين فوق بلايين ، وفي كل انقسام لا تنتصف الأزواج ، بحيث يذهب كل نصف إلى خلية جديدة ، ولو تكرر ذلك لما قامت للكائنات قائمة ، لأنه بعد عدة انقسامات ستختفي الأمشاج أو الكروموسومات ، وتصبح أثرا بعد عين ، ، لكن ذلك لم يحدث حقا ، ولن نحمل له هما ، لأن الله أوحى في كل خلية أمرها ، وأعطاها نظامها ، ورسم لها خططها ، فشقت في الحياة طريقها ، واستمرت الأنواع قوية هادرة لمئات الملايين من السنين ، وستبقى كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فالدارسون للخلية ـ أية خلية ـ

يلاحظون أن تكاثر الخلايا الجسدية يتم عن طريق هذه الأزواج من الأمشاج أو الكروموسومات ، اذ يحدث قبيل الانقسام ، ثم هجرة « الأزواج » الى قطبي الخلية استعدادا للانقسام ـ يحدث ان تهب الأزواج من نفسها ازواجا ، وكأنما كل زوج قد ملك الوسيلة لتكون له من ذاته ذرية طبق الأصل من تكوينه ، فترى الثلاثة والعشرين زوجا (اي ٤٦ كروموسوما) ، قد اصبحت بقدرة قادر ستة واربعين زوجا ، وكل زوج منها نسخة متقنة من نظيره أو نفسه (انظر شكل ١) ، وكأنما الآية الكريمة التي تقول **(فاطر السماوات والأرض جعل لكم من انفسكم أزواجا)** الشورى/١١ ـ كأنما هذه الآية التي تخاطبنا ، لها أيضا صلاحيتها على أدق مستويات الخلق الكامن في داخلنا على هيئة أزواج من الأمشاج في كل خلية من خلايانا ، أو خلايا كل المخلوقات ، فقد جعل الله لها من نفسها أزواجا ، ليسير كل شيء بحساب ، ويسري بمقدار .

اذا .. فالذي يحدد صفات المخلوقات من البداية هي هذه الأزواج من الأمشاج أو الكروموسومات ، فنراها في الخلايا الجسدية أزواجا أزواجا ، وفي الخلايا الجنسية فرادي ، وباجتماع الفرادي تصير أزواجا ، ويحكم كل هذا عمليات المناصفة حينا ، والمضاعفة حينا ، آخر ـ كل ذلك يتوقف على كون الخلايا ستأتي أجسادا ، أو نطفا أمشاجا .

وفكرة الخلق في كل الكائنات واحدة ، فالذي يحدد صفات الانسان ـ كما سبق أن ذكرنا ـ هو ٢٣ زوجا من الأمشاج ، والذي يحدد صفات القرد من نوع الريسوس ٢١ زوجا ، والأبقار ٣٠ زوجا ، والفئران ٢١ زوجا ، والزنابق ١٢ زوجا ، ونبابة الفاكهة أربعة أزواج .. الخ .. الخ .. (انظر شكل ٢) .

صحيح أن الكروموسومات في الكائنات قد تختلف طولا وسمكا وعددا وحجما ، أو قد تتساوى عددا ، كما هو الحال مثلا في القرد والفئران (لكل ٢١ زوجا كما ذكرنا) ، الا أن العدد وحده لا يكفي لتحديد النوع ، بل تتحدد الصفات الحقيقية من المعلومات الوراثية الكامنة في أزواج أصغر من هذه الأزواج ، أو بمعنى أبسط تتحدد بأمشاج من داخل أمشاج .

هل يعني هذا وجود بناء داخل بناء ، أو أمشاج أكبر تنطوي أمشاج أصغر ؟

نعم .. فلقد جاءت أيضا أزواجا أزواجا ، لينطبق عليها القول الفصل (ومن كل شيء خلقنا زوجين) .. وللأمشاج الأصغر ، من داخل الأمشاج الأكبر ، دراسة أخرى قادمة ، لنعلم من بديع صنع الله ما لم نكن نعلم ، ومن إعجاز آيات القرآن ما لم نكن ندرك .

نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقدم باقة من الاحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسلم أكرم زاد من الهدى المحمدي .

عن بريدة ان النجاشي أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما .

رواه ابو داود واحمد والترمذي

أهدى النجاشي ملك الحبشة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ليس فيهما لون آخر يغاير السواد أو هما غير منقوشين ، ولا شعر عليهما ، فلبسهما النبي اي على طهارة ثم توضأ ومسح عليهما .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش ، وحول وجهه ، ودخل أبو بكر رضى الله عنه فانتهرني ، وقال : مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم !؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا ».. رواه البخارى

بعاث : بالعين المهملة ــ كغراب ــ موضع بقرب المدينة وقيل : اسم حصن وقعت عنده حرب وقتال مرير بين الأوس والخزرج في الجاهلية ومن هذا نأخذ أن الغناء من الجاريتين كان غناء جادا ، يدعو الى الشجاعة والاقدام وقد اجازه الرسول الكريم اعلانا عن سماحة الاسلام حتى تعلم يهود ان في ديننا فسحة كما جاء في رواية اخرى .

سر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . وسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

« اذا ذكر ابراهيم الخليل وذكرت انا فصلوا عليه ثم صلوا على واذا ذكرت انا والأنبياء غيره فصلوا على ثم صلوا عليهم »

موضوع :

قال ابن تيمية : هذا لا يعرف في شئ من كتب الحديث .

ومع ان هذا القول لا يقره علماء الحديث ، فهو ايضا لا يلتقى مع شريعتنا ، فان ترتيب الدعاء في الصلاة الابراهيمية يرتب الصلاة مخالفا هذا الحديث ، ولا مجال لتكذيب ذلك أو انكاره بعد ان روته كتب السنة الصحاح وسار عليه المسلمون وايقن بصدقه العلماء .

وايضا الشطر الثاني من الحديث ليس صحيحا لأن النبي صلى الله عليه وسلم مقدم على كل الانبياء دون استثناء .

فعموم رسالته صلى الله عليه وسلم ، ودوام معجزته العظمى وهي القرآن الكريم ، واقرار الأنبياء له بالرسالة يستفاد ذلك من قول الله سبحانه : **(وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)** .

وقول عيسى لقومه الذي حكاه القرآن الكريم : **(وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)** .

فهذه البشارة وغيرها تؤكد ان الرسول صلى الله عليه وسلم افضل الأنبياء على الاطلاق وتنفي صحة هذا القول .

المسلمون الأوائل
أساتذة التصنيع في العالم

للاستاذ/محمد إبراهيم الصيحى

نشطت الصناعة العربية وازدهرت في الدولة العربية وخاصة في القرن الرابع الهجري الذي اتسم بطابع النهضة الصناعية ، وساعد وجود الثروة المعدنية بأنواعها من جهة واستقرار الأمور في البلاد من جهة أخرى ، على خلق هذه النهضة .

ويمكن أن نقسم الصناعة العربية الى أربعة أقسام هي : الصناعات المعدنية ، وصناعة المنسوجات بأنواعها ، والصناعات الغذائية ، وعدد من الصناعات المختلفة الأخرى .

فأما الصناعات المعدنية ، فقد تعددت

لتعدد الثروة المعدنية في الدولة الاسلامية التي عرف العباسيون ـ بوجه خاص ـ كيف يستثمرونها ويصنعون ما يمكن تصنيعه منها ، فكان لصناعة الحلى والجواهر الكريمة شأنها الرفيع بين الصناعات العربية ، إذ كان اللؤلؤ والياقوت والزمرد من الجواهر المفضلة لدى الطبقة الثرية ، وكانت قصور الخلفاء في بغداد والقاهرة وقرطبة تغص بالمصنوعات الدقيقة المرصعة بالحلى والجواهر بمختلف أنواعها وأحجامها .

ويمكن أن نتصور عظمة الصناعات الثمينة المماثلة في بغداد وفي عهد هارون الرشيد ، اذا عرفنا أن الدولة العباسية عاشت في عهده عصرها الذهبي حيث نبغ العباسيون في التوسع في صناعة زخرفة المعادن وتذهيبها وتفضيضها وفي الصياغة والتكفيت ، وكان الخلفاء يعشقون ويقتنون كل ما هو ثمين وطريف ، فقد ذكر أن الرشيد اشترى ياقوتة حمراء اسمه منقوش عليها بمبلغ ٤٠,٠٠٠ دينار .

والى جانب ذلك كله نجحت الصناعات الحديدية والنحاسية وتميزت الى جانب دقتها بسلامة الذوق والجمال الفني .

أما عن صناعة المنسوجات فقد برع فيها العرب ابان العصر العباسي بوجه خاص اذ اتسع نطاقها وتخصصت بعض المدن في صناعة أنواع من الأقمشة بذاتها حريرية أو صوفية أو قطنية أو كتانية ، فبينما اشتهرت دمشق بنوع من الأقمشة عرف باسم (داماسك) عرفت الموصل بصناعة نوع آخر هو الموصلين ، والكوفة بنوع ثالث هو الكوفيات وهي مناديل حريرية تتخذ أغطية للرأس تتفاوت أحجامها ، وأشتهر حي عتاب في بغداد بنوع من النسيج المخطط يسمى العتابي . وهكذا اشتهرت كل بلدة بنوع معين من القماش عرف باسمها ، وفي مصر عرفت دمياط بنوع من القماش الحريري سمي (الدمياطي) ، وتنيس بنوع اسمه التنيسي الذي ذاعت شهرته في أوربا وأستوردته بكميات كبيرة لجودته ومتانته ونعومته فضلا عن جمال شكله وكان يباع بأسعار مرتفعة وكثيرا ما كان يباع بقدر وزنه فضة .

وأنتجت مصانع تنيس والاسكندرية أيضا نوعا من القماش الممتاز صنع خصيصا للخلفاء وبناء على طلبهم كان يحلى بنقوش ورموز خاصة ، وكان الخلفاء يقدمونه كخلع لكبار رجال الدولة في المناسبات بعد أن تنقش عليه أسماؤهم .

وقد تخصصت مصر أيضا في صناعة أنواع من الأقمشة الكتانية نظرا لكثرة زراعة الكتان بها ، كما اشتهرت العراق وخراسان بصناعة الأقمشة القطنية وكان يزرع بهما القطن أيضا ، أما فارس فبرعت في صناعة الأقمشة الصوفية والسجاجيد والبسط والمطرزات وأنتج مسلمو الأندلس الأقمشة الحريرية

بعد أن جلب العرب معهم دودة القز لأول مرة الى هذه الجهات .
هذا الى جانب كسوة الكعبة الشريفة التي كانت مصانع مصر تقوم بعملها وفق اشتراطات خاصة وما يزال هذا التقليد معمولا به حتى وقتنا الحاضر .
أما الصناعات الغذائية فقد كان للعرب فيها نشاط ظاهر ، من ذلك أنهم كانوا يعمدون الى صيد السمك من البحار والأنهار المجاورة لهم ، وكانت حصيلتهم دائما كبيرة وعادة من الاسماك الصغيرة الحجم ، فكانوا يجففونها ويملحونها ثم يصدرون الفائض عن حاجتهم .
وعرف العرب صناعة السكر والعسل المستخرج من الجزر والخوخ والقرع وقصب السكر . وكانت طريقتهم في ذلك عصر الفاكهة ووضعها في أوان كبيرة خاصة عدة أيام ثم تختم أفواهها ، وتصدر فاذا اريد وضع العسل على مائدة الطعام ضربت القصبة التي تسد فوهة الآنية ، فيسيل العسل منها ، وكانت لمصر والشام شهرة خاصة في صناعة السكر .
وفي الشام نجحت صناعة الزيوت والشراب ، وازدهرت صناعة المواد العطرية التي أفرد لها العرب في دمشق وشيراز مزارع خاصة لزراعة الورد والبنفسج وصنعوا منها المواد العطرية التي عبئت في زجاجات متفاوتة الأحجام كان يصدر للخليفة العباسي سنويا منها اكثر من ٣٠,٠٠٠ زجاجة من فارس وحدها .
أما بقية الصناعات فقد تنوعت وتعددت وسنبدأ بالكلام عن صناعة الورق التي كانت مصر تحتكرها زمنا طويلا منذ القدم فكانت تصنعه من أوراق البردى ثم تصدر الفائض منه للخارج ، ولكن عندما دخلت صناعة الورق الى العالم العربي بطريقتها الجديدة عن طريق الصين في عهد هارون الرشيد ، تعددت مراكز صناعة الورق في الوطن العربي وكان أشهرها مصانع سمرقند وبغداد وطرابلس الشام وبلنسيه بالأندلس ، الى جانب مصانع مصر .
وكان الورق المصنوع في الصين والذي دخلت صناعته العالم كله يصنع من شرانق الحرير ، وقد نقله العرب عنهم ثم ابتكروا نوعا من الورق مصنوعا من القطن كما اخترعوا نوعا آخر من الورق ـ أقل جودة ـ مصنوعا من الأسمال البالية ، وقد عرفته أوربا عن العرب بعد ذلك بنحو قرنين .
وكان لهذه الصناعة آثارها الخطيرة في الفكر الانساني وحفظ التراث العالمي إذ أن صناعة الورق حفظته من الضياع ، وفي هذا يقول العالم الفرنسي جوستاف لوبون : « لولا العرب لضاع أكثر الكتب الثمينة القديمة اذ كانت كلها مكتوبة في أول الأمر على رقوق من الجلد وكان غلاء أسعارها مانعا من توافرها ، ونشأ عن ندرتها أن تعود الرهبان ـ قديما ـ حك كتب كبار المؤلفين من اليونان والرومان ليسجلوا عليها

مواعظهم الدينية » .

ولكن الذي حدث أن العرب جاءوا بورقهم المصنوع ، فنقلوا عليه كل الكتب الثمينة وحفظوها من الضياع ، وكان ورقهم يتميز باعتدال سعره وحجمه ووزنه ، بعكس الجلود التي تشغل حيزا كبيرا ، وتستنفد مالا كثيرا ، هذا الى جانب ثقل وزنها مما يصعب معه تداولها .

وتطورت صناعة الورق العربية الى أحسن بعد أن عرف العرب استخدام القنب والكتان في صنع الورق وتعددت تبعا لذلك مصانع الورق ، فزادت لذلك الكتب والمكتبات العامة والخاصة في الوقت الذي كانت فيه أوربا لا تعرف الا رقائق جلد الحيوان الغليظة الخشنة .

أما عن صناعة البارود والأسلحة النارية فقد كان للعرب السبق في التوصل الى نسبة الذخيرة التي يزود بها المدفع فقالوا : « تؤخذ عشرة دراهم من ملح البارود ودرهم من الفحم ودرهم ونصف درهم من الكبريت وتسحق كلها حتى تصبح كالغبار ويملأ بها ثلث المدفع فقط ، وتولج قطعة من الخشب في فوهة المدفع تتناسب وحجمها ، ثم تشعل بعد إضافة ما يلهب نارها » .

وننقل هنا فقرة عن أحد المؤرخين الأوربيين في هذا الصدد يقول فيها : « لقد عزى الى روجر بيكون اختراع البارود ، مع أنه لم يفعل أكثر من اقتباس المركبات القديمة ، وأثبتت مباحث مسيو رينو ومسيو فافيه وغيرهما أن العرب هم الذين اخترعوا بارود المدافع السهل الانفجار الدافع للقذائف . وقال المؤلفان : إن الصينيين هم أول من اكتشفوا ملح البارود واستعملوه في النار الصناعية ، ولكن العرب هم الذين استخرجوا قوة البارود الدافعة ، أى أن العرب هم الذين اخترعوا الأسلحة النارية » .

وقد تفنن العرب في استخدام النار الاغريقية وأصبحت لهم عامل هجوم مهم ، وألقوا بها الرعب في قلوب أعدائهم ، ومكنتهم من إحراز عديد من الانتصارات عليهم .

والى جانب ذلك كله صنع العرب البوصلة البحرية . مع أنها من اختراع الصينيين ، ولكن نظرا لتوثق الصلة التجارية بين العرب والصينيين ، فقد نقلوا عنهم البوصلة واستخدموها في الملاحة ، ثم نقلوها بدورهم الى أوربا بعد ذلك مما كان له أثره البعيد المدى على الملاحة في أوربا ، وبالتالي على الكشوف الجغرافية وتطور العالم كله نتيجة لها .

وقد تميزت الصناعات العربية بتفوقها العظيم بفضل معارف العرب العالية ، إذ أن العرب طبقوا الكيمياء التي برعوا فيها ، بل والتي اخترعوها ، على الصناعة ، واستغلوا المناجم المتناثرة في أرجاء الدولة في الصناعة ، مما جعل لهم شهرة عالمية لم يسبقهم إليها أحد في عصرهم ، هذا الى جانب ما أضفوه عليها من ذوقهم وإحساسهم المتأصل بالجمال .

مائدة القارئ

لا مهادنة مع الأعداء

قال تعالى : (**يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين**). الآية ١٢٣ من سورة التوبة .

فكيف صوت عذابه ؟

كان عمر بن عبدالعزيز واقفا مع سليمان بن عبدالملك أيام خلافته ، فسمع صوت رعد ، ففزع سليمان منه فزعا شديدا .

فقال له عمر : هذا صوت رحمته ، فكيف صوت عذابه ؟

* *

يا سارق الجمل

يحكى أن رجلا رفع دعوى ضد آخر متهما إياه بسرقة بعيره ، وليست لديه بينة يدين بها السارق ، وقد حاول القاضي بشتى الوسائل اكتشاف الجريمة فلم يفلح ، وأخيرا أجل الدعوى ، وأمر المتهم بالانصراف ، وعند انصراف المتهم خطرت للقاضى فكرة فنادى بأعلى صوته : (ياسارق الجمل) فالتفت المتهم الى القاضى ، عندئذ عرف القاضى أنه السارق فأصدر عليه حكم الادانة .

فضل الجهاد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انتدب الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه الا إيمان بى وتصديق برسلى ، أن أرجعه ، بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أنى أقتل في سبيل الله ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل).

جانب الذل

قال الشاعر :

قوض خيامك عن أرض تضام بها ... وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الأوطان منقصة ... فالمنزل الرطب في أوطانه عطب

منطق المناضل

حاول رفاق عمر المختار – زعيم النضال الوطنى في ليبيا سنة ١٩٢٢ – حاولوا أن يثنوه عن النضال وحذروه من قوة المستعمر الغاشم ، فقال لهم : (إننى أؤمن بحقى في الحرية ، وحق بلادى في الحياة ، وهذا الايمان أقوى من كل سلاح ، عندما يقاتل المرء ، لكى يغتصب وينهب ، قد يتوقف عن القتال إذا امتلأت جعبته أو أنهكت قواه ، ولكنه حين يحارب من أجل وطنه يمضى فى حربه الى النهاية ، ان الظلم يجعل من المظلوم بطلا ، وأما الجريمة فلابد من أن ترجف قلب صاحبها مهما يحاول التظاهر بالكبرياء).

وقال : (إنى أفضل أن أموت شريفا وسيفى في يدى على أن أموت في فراش الدعة الممزوجة بالذل والعار).

الهجرة قمّة الانتصار

بعد تحدّيات المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة الاسلام ليوجه الانسانية الى طريقها الراشد ، ويقود زمام البشرية إلى ما فيه خيرها في هذه الحياة الدنيا . وما فيه سعادتها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، ولأن دعوات الاصلاح تخالف مألوف القوم ، وتوجههم إلى طريق جديد يغاير الطريق الذي يسيرون فيه ، فقد وجدت هذه الدعوة من أعدائها أشد الوان المعارضة ، ولقى صاحبها صلى الله عليه وسلم أقسى الوان المكايد ، وتعرض أصحابه والمؤمنون برسالته إلى أعنف مظاهر الايذاءات لقد كان الواحد منهم يضرب بالسيف في سبيل الله فتقع ضربات السيوف على جسده فتمزقه ، فما يحسها إلا وكأنها تحيات اصدقاء من الملائكة يلقونه ويعانقونه ، وكان الواحد يبتلى في نفسه وأهله وماله فلا يحس بأنه المرزأ المبتلى الذي يعرف فيه الحزن والانكسار ، ولكن كانت تظهر فيه الانسانية المنتصرة .. واستمرت هذه المكايد تلاحق الرسول واصحابه بل كانت تتصاعد مع تصاعد عدد الذين يؤمنون بهذا الدين الجديد ، ويصل التصاعد الى الحد الذي يدعو سيدنا خباب بن الأرت رضى الله عنه وهو المؤمن الصابر ـ إلى أن يذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول حسب روايته . « أتيت النبي عليه

بقلم : فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

السلام وهو متوسد ببرد وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة فقلت . الا تدعو الله . فقعد وهو محمر الوجه فقال : قد كان من قبلكم يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

وتمضي الأيام تتبعها الأيام والسنوات تتلوها السنوات ، ودعوة الاسلام تشق طريقها كما يشق النور حجب الظلام ، وفي كل يوم تطلع فيه شمس يشاهد تاريخ الاسلام صفوة من الرجال ، رفضوا الباطل واختاروا الحق ثم رفضوا الصمت وآثروا المقاومة ، ثم رفضوا الضعف وصمدوا في يقين وبسالة أمام تحديات الاعداء ... إلى أن وقع في حياة الرسول حادثان أثرا تأثيرا عميقا في حياته النفسية ، ووقع الحادثان في عام واحد . أطلق عليه عام الحزن أما أولهما فهو فقده صديقة النساء التي حنت على زوجها ساعة قلق وكانت نسمة سلام وبر رطبت جبينه المتصبب عرقا من آثار الوحي ، وهي التي احترمت قبل بعثته خلواته وتأملاته ، وتحملت معه بعد بعثته أذى أعدائه . إنها خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وقد ماتت بعد عشر سنوات من بدء الرسالة ، وأثرت وفاتها في نفسه تأثيرا عميقا فقد هيأت له بيتا سعيدا ، يجد فيه السكن والراحة والأمن وهو البيت الذي حدد القرآن معالمه في قوله تعالى : **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** الروم/٢١ .

والحادث الثاني . هو وفاة عمه أبي طالب ، وقد حزن الرسول لفقده حزنا عميقا ألم يكن الحصن الذي تحتمي به الدعوة من هجمات الأعداء . ألم يكن هو الرجل الذي سخر جاهه وسلطانه في الدفاع عن ابن أخيه وكان القوم يحسبون له ألف حساب . وبعد فقده أصبحت قريش لا تهاب في محمد أحدا بعده .

عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ينتقل بالدعوة من موطن الى موطن آخر ، فالى أين يتجه . إن الطائف طيبة الهواء ، معتدلة الجو ، فيها الكثير من ينابيع المياه العذبة وحيث توجد المياه توجد الخضرة ويكثر الخير وطيب الجو يضفي على الناس رقة قلب ، وصفاء نفس ، لهذا قصد الرسول الطائف ، حيث تقطن ثقيف وقصد إلى قادتها وأولى الرأي فيها ، لكنهم صنعوا معه أشبه بما

صنع قوم نوح مع نبيهم نوح ـ جعلوا أصابعهم في آذانهم وإستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا لقد مكث بينهم عشرة أيام ولم يكسب للاسلام واحدا منهم بل إنهم حرضوا عليه غلمانهم وسفاءهم وقذفوه بالحجارة حتى دميت قدماه وزيد بن حارثة رفيقه في الرحلة يدفعهم عنه ، حتى شج رأسه وترك الطائف وفي قلبه ألم ، وفي نفسه حسرة على هؤلاء الذين قابلوه بهذا الايذاء وهو الذي جاء اليهم بسعادة الدنيا والآخرة ، ولجأ الى بستان خارج الطائف يملكه أخوان هما عتبة وشيبة ابنا ربيعة حيث جلس في ظل كرمة يلتمس الراحة والأمن . وجلس الرسول يفكر في حاضر الرسالة المرير وكيف يكون مستقبلها . وتذكر ما عاناه مع أهل مكة ، فوجه ناظريه إلى السماء وهتف لربه بقوله : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني . إلى بعيد يتجهمني . أم إلى عدو ملكته أمري . إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي . غير ان عافيتك هي أوسع لي ـ أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك أو أن ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك » .

هذا الاتجاه إلى السماء جاء بالنصر . وجاءت بشرياته من تحرك عاطفة القرابة في قلبي ابني ربيعة فدعوا غلاما لهما نصرانيا يدعى « عداسا » وقالا له : خذ قطفا من هذا العنب ، واذهب به الى هذا الرجل ، فلما وضعه بين يدي رسول الله مد يده إليه قائلا : باسم الله ثم أكل ، فقال عداس . ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له النبي . من أي البلاد أنت . قال أنا من نينوى فقال رسول الله . أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال وما يدريك ما يونس؟ قال رسول الله « ذلك أخي كان نبيا وأنا نبي » فأكب عداس على يدي رسول الله ورجليه يقبلهما . وآمن بدعوة الاسلام وهذا هو أول كسب يكسبه الرسول بعد رحلة الطائف الشاقة » .

وعاد إلى مكة ويروي ابن إسحاق هذا الحادث المثير على أنه حدث بعد رحلة الطائف وعند انصراف الرسول منها ، في مكان يسمى نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى . وهم سبعة نفر من جن أهل نصيبين . فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى :

(وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا

أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) الأحقاف/ ٢٩ ـ ٣٢ . وقال تبارك وتعالى : **(قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا)** الجن/ ١ و٢ .

وهذا هو الكسب الثاني للاسلام لقد آمن الجن بهذا الدين في الوقت الذي لا يزال فيه كثير من الانس يعارضونه ، بل ويؤذون الداعي إليه ، وكان الرسول بذلك نبي الثقلين ، ولم يمض على هذا الكسب زمن طويل حتى جاءت دعوة من السماء لرسول الله ليترك الأرض التي تحجرت فيها قلوب أكثر أبنائها إلى السماء في صفائها ، وطهارة أهلها من الملائكة الأخيار ، الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وكانت رحلة الاسراء والمعراج . هذه الرحلة التي صورت للرسول المجتمع الجديد الذي بشرت السماء بتكوينه قبل أن يتكون في المدينة بينما كان كل ما حول النبي لا تبدو فيه بوارق أمل كانت رحلة الاسراء تخفيفا من الألم الثقيل الذي يحمله ، ويدا حانية تمسح عن قلبه بعض ما فيه من ألم ، ونرى أقدامه المتعثرة على طريق الطائف تخترق الآفاق دون أن تمس الأرض والأرجل الدامية تعرف طريقها إلى السماء إلى سدرة المنتهى إلى قاب قوسين . إلى فريضة الصلاة التي تربط المؤمنين بمدد لا ينقطع من الايمان بالله إيمانا يدعوهم إلى مواصلة النضال وإلى الصبر على تحمل المشاق . ابتغاء ما عند الله من خير وما عند الله خير وأبقى للانسان : **(ما عندكم ينفد وما عند الله باق)** النحل/ ٩٦ .

وتأتى ذروة الانتصارات بالهجرة لاقامة المجتمع الجديد مجتمع الحب والايمان والتعاون والتآخى ـ مجتمع المدينة . الذى توج انتصارات رسول الله على أعدائه . وكان الله معه كما كان معه دائما لقد دبر المشركون أمرا . ودبر الله لنبيه أمرا ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . لقد عقدوا العزم على اغتياله ليوقفوا زحف النور المشرق . وليحدوا من المد التحررى الذى يدعو اليه هذا الدين والذى يجعل الولاء خالصا للقوة الخالقة القادرة التى تملك كل شئ ولا يملك الانسان معها أي شئ : **(ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل).** الأنعام/ ١٠٢ .

وأطلعه الله على تدبير قومه ، وأذن له بالهجرة من مكة الى يثرب واعد الرسول للأمر عدته وخطط لنجاحه مع صاحبه أبى بكر تخطيطا دقيقا ولم يترك امر نجاحها للمصادفات وحدها ، لقد بذل كل ما يستطيع بشر أن يبذله ، وترك بعد ذلك الامر كله

لله ، لقد اختار طريق سير الرحلة مكانا غير مألوف لهم ، بحيث تسير في اتجاه الجنوب الشرقي من مكة ، مع أن يثرب في شمالى مكة ، ليضلل الأعداء وأخفى الخبر حتى لا يستفيدوا من عامل الزمن واختار من يعد الزاد لهم طوال الرحلة والدليل الذى يدلهم على الطريق كل ذلك في سرية وكتمان ووصل الصاحبان محمد وأبو بكر الى الغار والتجأ فيه نهارا ليختفيا عن أعين الاعداء . انه لا يحميهما الا الله وحده ، ولا ترعاهما الا عين الله وحدها ، ولهذا لما وصل الأعداء امام الغار ، وقال أحدهم : ها هنا قد انقطع الأثر أشفق أبو بكر على صاحبه من ان يناله أذى فتعلق بالرسول وقال يارسول الله والله لو نظر احدهم تحت قدميه لأبصرنا فذكره الرسول بعناية الله ورعايته التى لا يتخلى بها عن أحبابه ، والداعين اليه المتحملين للمشاق في سبيل نشر دينه قال له . يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما . لا تحزن إن الله معنا . وقد ذكر القرآن نبأ هذا المشهد في قوله تعالى : (**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم**) التوبة/ ٤٠ وسلم الصاحبان من بطش الأعداء ونصرهما على كيدهم وتآمرهم وتحقق بذلك كسب رائع لدعوة الاسلام . بعد شدة الأذى وبعد عنف التحديات .

وكان من آثار هذا الانتصار اقامة المجتمع الجديد فبعد ان كان المسلمون في مكة فرادى يتجمعون وكأنهم غرباء وهم في وطنهم ويستخفون من الناس وهم دعاة الخير ، وأصحاب الحق أصبحت لهم قوة ، وأقاموا مجتمعهم المؤمن على دعائم قوية من الايمان بالله الواحد ، ومن الاخوة التى يحس الواحد منهم فيها احساس اخيه المسلم فيحيا بهم ويحيا لهم وكأنهم أغصان انبثقت من شجرة واحدة أو روح واحد حل في أجساد متعددة وأصبح كل فرد منهم لا يقول . أنا وحدى ومن بعدى الطوفان ، ولكن كان يقول . انا مع غيرى نتشارك الحياة نعماءها وبأساها ، سعادتها وشقاءها ، سعتها وضيقها ، ومدح الله تعالى اهل المدينة الأصليين لحسن استقبالهم لاخوانهم المهاجرين في قوله تعالى : (**والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) الحشر/ ٩ . إن الهجرة لم تكن يسيرة على نفوس أهل مكة ، فمكة حبيبة الى قلوبهم وتغنوا بحبها وحنوا اليها وهم في المدينة ، ولنستمع الى حديث السيدة عائشة رضى الله عنها :

« لولا الهجرة لسكنت مكة فانى لم أر السماء بمكان أقرب الى الارض منها بمكة ولم يطمئن قلبي ببلد قط ما اطمأن بمكة ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة » .

وإزاء هذا الحنين كان رسول الله يدعو ربه بقوله : « اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد ». وكان للمسجد النبوى الذى بناه رسول الله أول وصوله الى المدينة . وعاونه أصحابه في بنائه الاثر الاكبر في تأصيل عقيدة التوحيد في القلوب وفي جمع كلمة المؤمنين ووحدة صفوفهم وائتلاف مشاعرهم ، لقد كان مدرسة خرج رهبان الليل وفرسان النهار لقد بناه الرسول بناء متواضعا ولكن كان يضم تحت سقفه رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه . ولم تأت السنة الثانية من الهجرة وفي السابع عشر من رمضان على وجه التحديد تأكدت شخصية الجماعة الاسلامية بانتصارها العظيم في غزوة بدر الكبرى انتصار القوة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، وسمى الله يوم النصر في بدر بيوم الفرقان ، لأنه فرق بين عهدين في تاريخ الاسلام عهد القوة المستضعفة المستخفية وعهد القوة القوية المنتصرة التى سمع بانتصارها العرب جميعا ، قال تعالى في شأن هذا اليوم : (**وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان**) الأنفال/٤١ . وبهذا كانت الهجرة نتيجة وسعيا ، نتيجةلسلسلة من التحديات التى صمد امامها المسلمون . واكدوا بنضالهم ان الحق وحده هو المقدس وان الولاء المطلق للحق والتضحية في سبيله هما اللذان يعطيان للانسان قيمته وللحياة مضاها ، وكانت سببا في الانتصارات التى حققها المسلمون بعد ذلك والتى اكدت شخصية الأمة المسلمة ، والتى جعلت الواحد منهم يقف أمام يزدجرد ملك الفرس في عنفوانه وجبروته ويقول في عزة المؤمن : « إن الله قد ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة الأصنام الى عبادة الله . ومن ضيق الدنيا الى سعتها ـ ومن جور الاديان الى عدل الاسلام » .

وطريقنا الى الانتصار في جميع معاركنا هو ان نتخذ الهجرة طريقا لنا . هجرة القلوب قبل هجرة الأجساد ، نهاجر من حياة الضعف الى حياة القوة نهاجر من البعد عن الله الى القرب منه ، نهاجر من حياة الدعة والكسل والخوف الى حياة الجد والعمل والنضال من اجل إثراء الحياة بكل ما هو خير . وحينئذ نستطيع أن نحقق النصر الذى وعده الله عباده المؤمنين في قوله : (**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**) غافر/٥١ .

هذه هي الهجرة الآن . والتى أشار اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » البخارى .

جامع الرفاعي والسلطان حسين

القاهرة ذات الألف مئذنة

للاستاذ : عبد الغني محمد عبد الله

قاهرة المعز ـ مصر المحروسة ـ المنصورية ـ العاصمة الرابعة لمصر الاسلامية . أو كما سماها ابن خلدون ـ مدينة المدن ـ هي التاريخ نفسه حيث تم رسم الكثير من الأحداث فيها ـ فصارت تاريخا . ومنها خرجت الجيوش فاتحة أو غازية مجاهدة في سبيل الله . وهي نفسها التي أغلقت أبواب حاراتها ليالي طويلة حزنا وكمدا بسبب غزو أو قهر .. أو لفقدان عزيز .

أحداثا كثيرة عاصرتها . أو خرجت منها . وكم من أحداث بقيت في الخارج تنتظر كلمة القاهرة لتكتمل . وكم سهرت هي تنتظر كلمة من الخارج ليكتمل عندها حدث .

من فوق قلعتها انظر اليها .. سترى نصف دائرة من العمران والحركة والحياة ... كم رغب الأعداء فيها .. وكم تمنعت عليهم .. وكم من عدو فقد عرشه وحياته في الطريق إليها .. وكم داست هي في النهاية فوق جثثهم وشهدت نهايتهم بعد أن وطئتها أقدامهم ولكن بعد طول صبر .. وكفاح .

الرحالة والمؤرخون والكتاب . المصادر والمراجع والمصورات . من الشرق ومن الغرب .. كثيرون أكثر من

الجامع الازهر

أن يتم حصرهم .

ترابها .. إذا حفرت فيه ستشم رائحة التاريخ .. ستجد أثرا فيه .. وفوقه أيضا ستجد آثارا كثيرة .. فهي حديقة رائعة للآثار الاسلامية .

تاريخ المدينة

وضع جوهر الصقلى أساس مدينة القاهرة يوم ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ وبرغم ذلك فان هذا اليوم ليس هو البداية الحقيقية لتاريخ هذه المدينة ، حيث أن اتساعها اليوم يجعل من القاهرة بحدودها القديمة حيا واحدا من أحياء عاصمة مصر الاسلامية .

وإذا نظرنا الى القاهرة دون النظر إلى ما سبقها من عواصم إسلامية لمصر ، أو ما تلا إنشاءها فان الناظر يكون قد وضع بصره على فقرة واحدة من تاريخ هذه المدينة .

باب زويلة

وعواصم مصر الاسلامية أربعة هي على التوالي : الفسطاط ، والعسكر ، والقطائع ، ثم القاهرة . ولكن بقيام صلاح الدين الأيوبي على ضم هذه العواصم الأربعة داخل سور واحد .. صارت كل عاصمة حيا من أحياء العاصمة الجديدة داخل هذا السور .

الفسطاط

كانت الاسكندرية هي عاصمة مصر خلال تبعيتها للامبراطورية الرومانية ، وما أن فتح العرب مصر وبعد صلح الاسكندرية . قام عمرو ابن العاص باختيار المنطقة شمال حصن بابليون على رأس دلتا النيل ، واتخذ هذا المكان قاعدة يدير منها البلاد حيث أن الخليفة عمر بن الخطاب أشار عليه باتخاذ عاصمة جديدة لا يفصلها عن مقر الخلافة بحر أو نهر .

وتظهر العبقرية العسكرية الفذة لعمرو بن العاص في اختيار المكان ، إذ أن هذا المكان متكامل عسكريا واقتصاديا فهو من ناحية الجنوب مفتـوح على صعيـد مصر لتمويـن المدينة ، ويحميه جبل المقطـم من الشرق عسكريا ، ويتكفل نهر النيل بالحماية من الغرب ، أما الشمال فهو مفتوح لاتساع المدينة مستقبـلا ، وللتموين من الدلتا .. ويسهل الدفاع عن المدينة من هذا الاتجاه الوحيد المفتوح .

وتاريخ إنشاء الفسطاط مختلف فيه فالبلاذرى ذكر أن عمرو قد بنى المدينة بعد فتـح حصـن بابليـون مباشرة ، في حين أن أغلب روايات المؤرخين رجحت بناء المدينة بعد فتح الاسكندرية . وعلى هذا يعتقـد أن الفسطاط بنيت عام ٢١ هـ .

وقد كانت الفسطاط معسكرا في أول الأمر . وقد أخذ المسلمون أولا ببناء المدن المدورة . وكانت الفسطاط على هذا النحو وتعتبر هي أول المدن الاسلامية التـي بنيـت في شمـال افريقيا . الجامع في الوسط ومن حوله جاءت القبائل العربية المشتركة في الفتح تتساوى جميعا في قربها من الجامع تجنبـا للحساسيـات بـين القبائل .

وولى عمرو بن العاص على خطط المدينـة ـ المعسـكر ـ أربعـة من المسلمين هم معاويـة بن حديـج ، وشريك بن سمى ، وعمرو بن قحزم وجبريل بن ناشرة . وذكر المؤرخون أن الزبير بن العوام هو الذي خطط المدينة وأقام بها دارا خاصة به .

وعن الفسطاط تحدث كثـير من المؤرخين مثل أبو المحاسن وابن عبد الحكم والمقريزى والبلاذرى وابـن دقماق وتحدثوا عن جامع عمرو بن العاص وذكروا أنه أطلق عليه أسماء كثيرة متتالية منها (أهل الراية ، ومسجد النصر ، وتـاج الجوامـع والمسجد العتيق) وهو بحـق أول مساجد مصر الاسلاميـة ، ونـواة العمارة الاسلامية فيها . ومن أقوال هؤلاء المؤرخين وغيرهم توافرت لدينا التفاصيـل الكثـيرة عن مدينـة معسكر ـ الفسطاط .

العسكر

هرب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية الى مصر سنة ٧٥٠ م وقتل في قرية بصعيد مصر ـ أبو صـير ـ وأصبحت مصر تابعة للدولة العباسية ولم يرغب العباسيون في الاستمرار بالفسطاط عاصمة للبـلاد . فبنـوا عاصمة جديـدة (هـي العاصمـة الثانية) إلى الشمال من الفسطاط وأطلقوا عليها اسم العسكر ـ وأغلب الظن أنها كانت فيما يعـرف الآن بمنطقـة (أبـى السعـود) بمصر القديمة ، وربما كان مركزها محل مسجد « أبو السعود الجارحـي » الآن . بناها صالح بن علي وأنشأ بها دارا للامارة وثكنات للجند وأنشأ ابنه الفضل « مسجد العسكر » بالمدينة .

وظلت العسكر حاضرة لمصر الا أن

جامع القلعة من الداخل

الفاصل القليل بين العسكر والفسطاط امتلأ بالدور حتى تلاصقت المدينتان فيما يجعلهما مدينة واحدة .

القطائع

وظلت العسكر حاضرة لمصر فترة تربو على ١١٨ عاما . حتى جاء احمد ابن طولون حاكما لمصر نائبا عن الوالي التركي « باكباك » ولكن النائب كانت طموحاته أكبر مما هو قادم من أجله ، فاستقل بمصر عن الدولة العباسية . اذ أن هذه الفترة من العصر العباسي الثاني تميزت بظهور شخصية الأمصار الاسلامية واستقلالها عن الدولة ـ استقلالا اسميا في أغلب الحالات ـ.

بنى أحمد بن طولون عاصمة جديدة ـ هي القطائع ـ في المنطقة الواقعة بين العسكر وجبل المقطم « أغسطس سنة ٨٧٠ م » ـ « شعبان سنة ٢٥٦ هـ » واتصلت الدور في هذه العاصمة الجديدة بمدينة

القاهرة القديمة

العسكر والفسطاط . وبنى في وسط المدينة مسجده « مسجد الميدان الكبير » المعروف بابن طولون سنة ٢٦٣ هـ ويعتبر من أروع المساجد الاسلامية الأثرية في مصر بمبانيه الرائعة وزخارفه الفريدة خاصة الأشرطة الكتابية . وتعتبر مئذنته الشبيهة بمئذنة جامع سامرا الكبير ، أثرا هاما من الآثار الفريدة للعمارة العباسية في مصر .

انتقلت قاعدة الحكم الى القطائع .. واستمرت حاضرة ثالثة لمصر حتى حرقها القائد العباسي محمد بن سليمان عندما جاء للقضاء على الأسرة الطولونية وحلمها في الاستقلال بمصر .

وفي عام ٩٠٤ هـ عادت الفسطاط عاصمة مرة أخرى ولم يبق من القطائع سوى أطلالها تحكي مع الزمن مجدها الغابر . وبقى مسجد ابن طولون أثرا شامخا ، يحكي لنا قصة القطائع كاملة مع كتابات المؤرخين كشاهد إثبات وكيف أن هذه المدينة كانت شديدة التأثر بمدينة

جامع ابن طولون

« سامرا » في العراق تتشابه الاثنتان في كونهما مقسمتان الى خطط « قطائع » وكل خطة بها مجموعة من السكان تجمعها رابطة العرق أو العمل . وتتشابه فيها طرز العمارة والزخرفة إلى حد كبير . وخاصة بعد أن أكثر « خمارويه » في تزويق المدينة « القطائع » وتزويدها بالحدائق التي امتلأت بالورود والرياحين والأشجار التي كسيت جذوعها بالنحاس المطلي بالذهب أو الفضة . ومن الطريف أن خمارويه قد استخدم أسدا أزرق العينين لحراستة ـ تكلم عنه غالبية المؤرخين ـ واليوم يمكن لزائر القاهرة ان يحدد موقع القطائع بوضوح تام من فوق القلعة حيث يظهر مسجد ابن طولون . شامخا على ربوته العالية .

القاهرة

وجاء الفواطم لمصر .. فكانت القاهرة رابعة العواصم الاسلامية لمصر . وسبب تسميتها القاهرة حسب أقوال المقريزي في خططه أن

جوهر الصقلى ـ القائد الفاطمي كان قد أحضر المنجمين لاختيار الموعد المناسب عند مرور طالع سعيد للبدء في بناء المدينة . ووضعت الأجراس لتنبيه العمال بالبدء في العمل عند رنينها في الموعد الذي يحدده المنجمون ولكن تصادف أن وقف طائر على أحد الحبال فدقت الأجراس فبدأ العمل وهنا صاح المنجمون أن « القاهر في الطالع » أي كوكب المريخ ـ فسميت بالقاهرة .

والقاهرة تختلف عن باقي عواصم مصر السابقة في أنها مدينة مربعة وليست مدورة كسابقاتها . قسمت المدينة الى أربعة أقسام حيث اخترقها شارعان متقاطعان ـ انظر الشكل ـ أحد الشارعين هو شارع بين القصرين ـ المعز الآن ـ والثاني هو شارع الأزهر ـ وما زال يحمل نفس الاسم ـ ونتج عن ذلك تقسيم المدينة إلى أربعة أقسام كان القصر الشرقي في أحد هذه الأقسام ، بينما احتل القصر الغربي قسما ثانيا وجاء الجامع الأزهر في قسم ثالث . بينما ترك القسم الرابع للحرفيين والصناع وسمى « الربع » على أن يغادره هؤلاء العمال في نهاية اليوم الى مساكنهم في الفسطاط .

وعلى ذلك كانت القاهرة أول الأمر مدينة خاصة بالخليفة وحاشيته فقط . وتتحدث المراجع عن أن المدينة كانت تغلق أبوابها ليلا حيث بنى الخليفة حول المدينة سورا من الطوب اللبن على شكل مربع طول ضلعه ١٢٠٠ ياردة ويضم بداخله قرابة

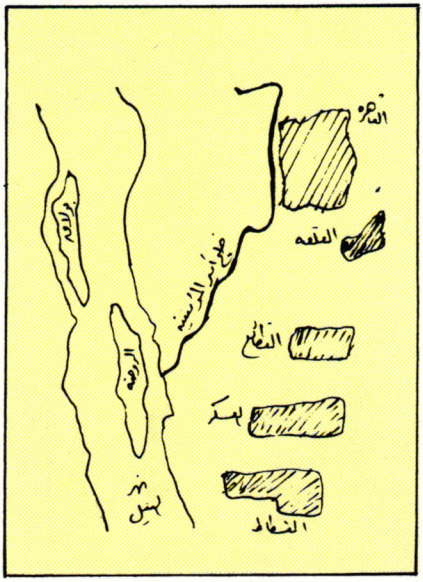

القاهرة اول بنائها

٣٤٠ فدانا . وفتح هذا السور بثمانية أبواب . أي قلعة حصينة ولذا سميت مصر المحروسة تمييزا لها عن مصر الفسطاط .

ويروي لنا الدكتور عبد الرحمن زكي أن جوهر الصقلى تلقى تعليمات الخليفة الفاطمي بانشاء مدينة تكون للفسطاط بمثابة المنصورية للقيروان . أو بمثابة فرساي لباريس أو وندسور للندن . وعلى ذلك لم يكن القصد من انشاء المدينة أن تكون سكنا للخليفة وحرمه وخواصه بل إلى جانب ذلك تكون معقل قتال للتحصن فيه والالتجاء إليه . ومن هنا لم يكن يسمح للمواطنين بدخول المدينة الا بتصريح .

والسور الأول أضاف إليه أمير الجيوش بدر الجمالي « وزير الخليفة المستنصر » سورا جديدا من

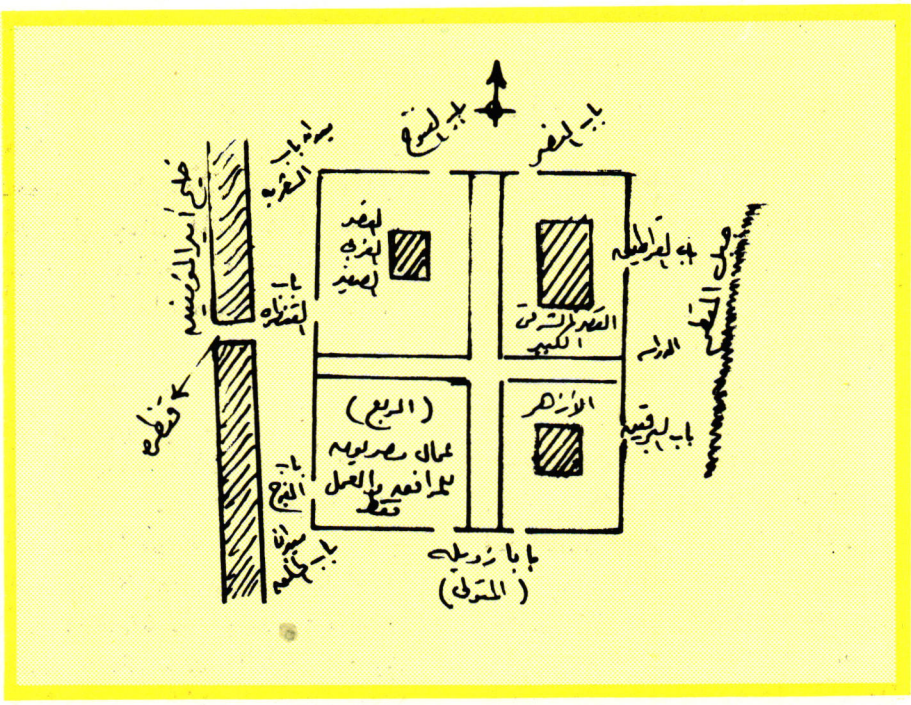

عواصم مصر الاسلامية الاربعة

الناحيتين القبلية والبحرية . ويصف لنا المقريزي سوري القاهرة الأول والثاني وأنهما كانا من اللبن . عدا أبواب النصر والفتوح وبابي زويلة فمن الحجر .

ثمانية أبواب هي مداخل المدينة الجديدة : « باب زويلة (وكان بابين متجاورين) بنته قبيلة زويلة من قبائل البربر ـ باب القنطرة ـ باب الفرج عند ضريح سيدي فرج ، وباب سعادة عند المكان الذي دخل منه سعاد بن حيان غلام الخليفة المعز وباب النصر ، والفتوح يقعان في الشمال . أما باب البرقية وباب القراطين « الباب المحروق » فيقعان في الشرق » .

وقد انشئ الجامع الأزهر بداخل أسوار القاهرة المعزية وقد ذكر المقريزي أن العمل بدأ في بناء هذا الجامع سنة ٣٥٩ هـ وتمت عمارته بعد ذلك بعامين تقريبا وهو واحد من أعظم العمائر الدينية في العالم الاسلامي . وبعون الله سوف نجد الفرصة المناسبة للحديث عنه مستقبلا .

وحوارى القاهرة القديمة نسبت كل منها إلى القبيلة التي نزلت فيها مثل حواري « الروم ـ برجوان ـ زويلة ـ الجدرية ـ الأمراء ـ الديلم ـ الباطلية ـ الكافورى ـ الوزيرية ـ المحمودية ـ العطوف ـ قائد القواد ـ وما زال كثير من هذه الحواري تحمل نفس أسمائها للآن » .

الكثير من القصور العظيمة والدور الفخمة مثل دار الحكمة والدار الأفضلية « نسبة الى الأفضل بن بدر الجمالي » الكثير منها أقيم في قاهرة المعز إلى جانب المساجد والجوامع الفخمة كالحاكم ـ والأقمر والصالح طلائع .. كلها تقريبا تحمل أسماء منشئيها .

القاهرة الأيوبية :

وقد أحاطها صلاح الدين الأيوبي مع العواصم السابقة بسور واحد ـ فاتسعت المدينة وأصبحت هذه العواصم الأربعة تبدو وكأنها أربعة أحياء ضخمة تؤلف عاصمة واحدة .. وقد جدد الأسوار لتصبح من الحجر .. وفوق الربوة المنفصلة عن جبل المقطم ـ بني صلاح الدين واحدة من أفخم العمائر الحربية من تاريخ المسلمين ـ قلعة الجبل ، وظهرت في إنشائها العبقرية العسكرية للعرب والمسلمين .

قاهرة المماليك :

وزادت المدينة واتسعت ومرت بكثير من العظمة والأبهة ـ صفحات تحمل في طياتها الكثير من المجد والفخار ، وتحتوي أيضا على مشاهد متعددة من الظلم والقهر ، وبنى فيها الكثير من الدور والمساجد والجوامع والأسبلة والحمامات والوكالات والخانات والمدارس .. وانتشرت هذه الأبنية بشكل يجعل المدينة اليوم كحديقة للآثار الاسلامية بواجهاتها المرتفعة المزركشة ومآذنها الرائعة وزخارفها الفنية .. عمائر خالدة . يقل نظيرها في العالم الاسلامي .

قاهرة العثمانيين :

وظلت القاهرة مع المماليك بحرية وجراكسة ، وظل دورها يسير مع التاريخ تصنعه ويصنعها إلى أن وطئها عسكر آل عثمان ليطفئوا بريقها ويسحبوا منها دور الصدارة في العالم الاسلامي ويعودوا بها إلى دور التابع لأول مرة في تاريخها .. دور عثماني طويل .. ليل طويل استكانت فيه المدينة صبرا مع طول الظلام إلا من هبات قليلة الأثر بفعل النوم الطويل والجهل والخرفات حتى بدأ يطل عليها عصر جديد في أواخر القرن الثامن عشر . ورغم أنه كان في شكل غزوة أوروبية الا أنه كان اتصالا بالنهضة الحديثة .. جاء نابليون بجحافله يسرق ويقتل ويحاول أن يثبت قدميه ليبدأ في تأسيس امبراطورية شرقية وفشل ولكن كان الاحتكاك الحضاري .

قاهرة العثمانيين مليئة بالآثار العثمانية مميزة بطرزها وتطل عليك المآذن الممشوقة مثل القلم الرصاص والمساجد الضخمة في عمارتها وإن كانت أقل زخرفة والأسبلة والدور كلها في طراز عثماني بديع .

لذلك فاننا نقول بكل ارتياح إنه بمرورك في مدينة القاهرة سوف تشاهد متحفا على الطبيعة يحمل سمات المدارس الفنية كلها من العصر الاسلامي المبكر .. إلى العصر العثماني .. وإلى اليوم .

همزة الوصل في كلمة « ابن »

العرب يحذفون همزة الوصل من كلمة ابن إذا وقعت صفة بين عَلَمَيْنْ فيقولون : سافر خالدُ بنُ محمد .. وأسباب الحذف كثيرة منها الاختصار في الكتابة ، ومنها اهتمامهم الشديد بالأنساب واضطرارهم إلى ذكر كلمة ابن مرات عديدة عندما يذكرون نسب عربي ..

أما إذا لم تكن كلمة « ابن » صفة فالمطلوب إثبات همزة الوصل وتنوين الاسم الذي قبلها نحو : إن محمداً ابنُ عبدالله . فقد ثبتت همزة الوصل في كلمة **ابن** لأنها وقعت خبرا لإن وليست صفة ، كما تثبت همزة الوصل أيضا في كلمة ابن إذا أضيفت إلى الجَدِّ أو إلى الأم مثل : محمد ابن عبد المطلب ، وعيسى ابن مريم ، وكذا إذا سبقتها أداة استفهام مثل : هل خالد ابنُ عثمان ؟؟ أو إذا وقعت في أول السطر .